WWW.SOUFIA-H.COM
نكشف الحقائق الغائبة للباحثين عن الحقيقة

سلسلة إحياء تراث أهل السنة والجماعة في حضرموت

الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

للعلامة

محمد بن عمر بحرق الحضرمي

ت ٩٣٠هـ

تحقيق



الطبعة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

الحسام المسلول

على منتقصي أصحاب الرسول r

للعلامة

محمد بن عمر بحرق الحضرمي

ت ٩٣٠ هـ

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

محفوظة جميع الحقوق

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

6

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد :

ذكر الإمام الذهبي في سير علام النبلاء عن الحسن بن عمرو قال : (قال لي طلحة بن مصرف: لولا أني على وضوء لأخبرتك بما تقول الرافضة) . [١]

وطلحة بن مصرف إمام حافظ مقرئ ت ١١٢ هـ قد اطلع على حقيقة الرفض ، وما انطوى عليه من عقائد فاسدة ، وألقي فيه من نجاسة مغلظة لا يتفق ذكرها وما هو عليه من عبادة ، فإن من أقوالهم ما تقشعر له الأبدان ، أن جردوا من ألسنتهم مقراضا لتمزيق أعراض الصحابة الكرام ، والسلف قد مضوا على محبتهم لا سيما الشيخين أبي بكر وعمر ، ومعرفة فضلهما ، وإشاعة فضائل الصحابة أمر يعجب أهل السنة ويغيظ الذين يقدحون فيهم تجريحا وتكفيرا ، ويطعنون في مناقبهم ، ولكن جاء طعنهم في الحجاب ، ومع ذلك مردوا على السب كذبا كما قال الشافعي : (لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة) . [٢]

وقال الذهبي : كل من أحب الشيخين فليس بغال ، بلى من تعرض لهما بشئ من تنقص، فإنه رافضي غال، فإن سب، فهو من شرار الرافضة، فإن كفر، فقد باء بالكفر، واستحق الخزي . [٣]

وسبهم هو ظاهر مذهب الرافضة والإسماعيلية بحجة موالاة آل البيت المزعومة ، والباطن من قبله القدح في الشرع ، وطي بساطه ، فأما الرافضة فاتخذوا النيل منهم سببا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ / ١٩٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠ /٨٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٤ /٥١١ .

أقوالهم الباطلة ، والإسماعيلية ظاهر قولهم الرفض وحقيقته الكفر المحض ، وما فتئوا يرسلون شياطينهم لاستراق السمع فتحرقهم شهب أهل السنة .

وقد جاسوا خلال البلاد نشرا لباطلهم ، ولكن وقف لهم فرسان العلماء بالمرصاد يكشفون زيفهم ، ويوضحون زيغهم ، ويردون صيالهم ، حتى لا يذهب صفاء الدين ، ومن هؤلاء العلماء يبرز لنا من حضرموت فارس من أهل هذه الحلبة يسابق في المضمار هو العلامة محمد بن عمر بحرق ، قد سل حسامه ، وأوجف حصانه في سبيل الله ، يذود عن حياض الصحابة ، ويضرب في كاهل الرفض لا يلوي ومنكبه حتى إذا أثخنهم وشد الوثاق أرديت البدعة ، ورفع الحق عاليا ، ولولا هذه السيوف من علماء الإسلام لأضحى الدين غريبا كما قيل :

لولا كتائب من عمرو يصول بها ... أرديت يا خير من يندو له النادي

وهذا تمهيد يحتوي على خمسة مواضيع هي في ذكر الإسماعيلية ، ثم الرافضة والإسماعيلية في حضرموت ، ثم ترجمة العلامة بحرق ، ثم ذكر الباعث لتأليف الكتاب وذكر نسختي التحقيق ، ثم كتاب الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول r .

والله أسأل القبول والسداد والقبول إنه ولي ذلك والقادر عليه .

كتبه

أكرم مبارك عصبان

الموضوع الأول : ذكر الإسماعيلية

تعد الإسماعيلية من غلاة الشيعة ، وظاهر مذهبهم التشيع للآل البيت ، ويطلبون من وراء ذلك هدم الشريعة ، وزعزعة العقائد ، وتمتد جذور هذه الشجرة الخبيثة إلى نشأة الإمامية حيث تلتقي معها في القول بإمامة جعفر الصادق ، ثم حصل بعد وفاة جعفر تصدع للشيعة في أحقية ابنيه بالإمامة ، فأما الإمامية فساقوها لابنه موسى الكاظم ، وخالفهم الإسماعيلية فساقوها إلى ابنه إسماعيل ، ثم زعم فريق من الإسماعيلية أنه لم يمت في عهد أبيه ، بل أظهر أبوه موته تقية خوفا عليه ، وقال فريق بل مات وانتقلت الإمامة في عقبه وهو ابنه محمد .

ويسمى الإسماعيلية بالباطنية والقرامطة ، ويدعون في مصر بالعبيدية وفي الشام بالنصيرية والدروز والبهائية وفي الهند بالبهرة ، وهي فرقة قد جمعت من نحل شتى كالفلسفة اليونانية ، واستعارت أفكار الإمامية ، وزادت عليها التأويل الباطني ، ويعتبر ميمون القداح من أخطر الشخصيات التي كانت وراء الإسماعيلية وساهم في تأسيسها ، وقد نفذت هذه الفرقة في كثير من البلاد لانتشار داعتها في الآفاق .

ومن عقائدهم في التوحيد أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما ، وهما العقل والنفس ، ويسميان السابق والتالي ، وقالوا أن البارئ لا يوصف بموجود ولا معدوم ، ولا معلوم ولا مجهول ولا قادر ولا غير قادر ، وأن العقل الأول هو الذي خلق المخلوقات ، فهو الخالق الحقيقي عندهم .

وأما في النبوات فقولهم قريب من الفلاسفة ، وينكرون الوحي ومجيء الملائكة والمعجزات ويقولون كلها رموز وإشارات لم يعلمها أهل الظاهر ، وأما في الإمامة فاتفقوا

أنه لا بد في كل عصر من إمام معصوم يرجع إليه في جميع العلوم ، وأنـه يسـاوي النبـي في العصمة والاطلاع على حقيقة كل شيء .

ويقولون للشرائع باطن لا يعرفه إلا الإمام المعصوم ومن ينوب منابه وكـل مـا ورد في الحشر والنشر وغيرها أمثلة ورموز إلى بواطن ، والصلاة مفروضة في كل سنة مـرة ، ومـن صلاها فقد أقام الصلاة بغير تكرار كالزكاة ، ولهم تأويلات باطلة تدل على كفرهم ، وقـد ذكرها الفقيه محمد بن الحسن الديلمي اليمني من علماء أوائل القرن الثامن الهجري ، وهو الخبير بمذهبهم ، وعلى الخبير سقطت ، وقد كفرهم من عشرين وجه في كتابه قواعد عقائد آل محمد في الرد على الباطنية منها الوجـه العشرـون في تكفـيرهم الأمـة المسـلم بأجمعهـا ، ويعدون أبا بكر رضي الله عنه أول صنم من أصنام الطاغوتية ثم عمر ثم عثمان ، ويمتطون الطعن في الصحابة للطعن في الدين ولذلك سل بحرق الحسام لدفع باطلهم . (١)

* * * *

(١) اقرأ كتاب قواعد عقائد آل محمد في الرد على الباطنية فإنه نفيس في بابه .

الموضوع الثاني : الإسماعيلية والرافضة في حضرموت

ونناقش هذا الموضوع من خلال خمسة أمور :

ـ أولا : القصيدة البكرية

هي قصيدة شاعت بالجهة الحضرمية ، بنظم رقيق اللفظ ، عذب المعنى ، طيب الغاية ، فأما ألفاظه فتمتاز بالسهولة ليتناولها الناس كافة ، وأما معناه فيدور على ذكر فضائل الصديق والرد على منتقصيه ، وغايته تحصين أهل السنة بحضرموت من غوائل الرفض ، ولم نحط علما بتحديد الوقت الذي قيلت فيه ، ويعزب عنا هوية الرفض وأصحابه الذي تتصدى لهم ، وقد انتشرت انتشار واسعا ، وصارت نشيدا يردد في المجالس والمساجد والبيوت وحيث اجتمع الناس ، وهي على شكل مقطوعات شعرية نأخذ منها :

أبو بكر الصـــديق ذو الفضـــل والمنن	فمن فضله عـــــــند النبي قد اندفن
فما بينـــــهم شيء سوى طية الكـــفن	فإن كنت من أهـــل الجـماعة والسنن
ترض عن الشـــــيخ الإمــام أبي بكر	أبو بــكر ما خابـت لديك مقاصـــدي
فإني مـحب ما قــــــطعت عوائـــدي	وشـــوقي ووجـــــدي لم يزل في تزايد
كذلك أيضـــــا كان جدي ووالـــدي	ووالـــــدتي كانـــــت تحب أبا بكـــــر
أبو بكـــر ما يبـــــغضه غير منـــــافق	أبو بكـــــر ما يغتابه غيـــــــر فاسق
أبو بكـــر في الإســـلام بحـر الحقائق	إذا شئت أن تدعـــى بأكـــــرم سابق
ترضّ عن الشيــــــخ الإمام أبا بكـــر	أبو بكـــــر في حجابه السادة الـغـــرر
وباغضهم لا شـــك يحشـــر في سقـــر	أحب أبا بكـــــر ومن بعده عـــــمر
وقـل للشقـــي الرافضي الذي كـــــفر	فإني محــــــب للنبـــــــي وأبي بكــــــر

ثانيا : ذكر الإمامية

الحوالة في ذكر الإمامية هنا على عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف ، فإن كان مليئا فليتبع ، وإن كان غير ذلك فلا ، وهو حامل لواء فريق من مؤرخي العلويين ممن خاضوا في مذهب المهاجر ، وقابله فريق يقوده علوي بن طاهر الحداد يذهب إلى أنه شافعي المذهب ، ويتصدر ابن عبيد الله بأن يكون الزعيم بهذا الحديث ، ويبدو أن عنده من الكتب التي يدرسها ما تحدثه بهذا الحديث كقوله : (إن العلويين الحضرميين ومن لفهم إلى هذا الحين إن لم يكونوا على مذهب الإمامية فإنهم على أخيه ، إذ طالما سمعنا ممن لا يحصر عدا أو لا يضبط كثرة منهم من يقول إنها لما زويت عنهم الخلافة الظاهرة عوضوا بالخلافة الباطنة ، فصارت إلى علي ثم ابنه ثم إلى زين العابدين ثم إلى الباقر ثم إلى الصادق وهكذا في الأفضل ثم الأفضل من ذرياتهم ، ألا ترى أنهم يقولون بقطبانية هؤلاء ، وما القطبانية إلا الإمامة بنفسها !) (١)

ومما يتوكأ عليه من الأقوال أنه لم يتسم من العلويين أحد بأبي بكر وعمر إلى زمن أحمد بن الفقيه المقدم ت ٧٠٦ هـ كما قال أحمد بن علي الجنيد : (وأول من سمي أبو بكر وعمر من أولاده بحضرموت لأن أهلها كانوا شيعة) (٢) .

ونص عبارة ابن عبيد الله عند ذكر عبد الله بن احمد بن محمد بن عمر باكثير الشبامي قال : (ووجود اسم عمر في عمود هذا النسب مما يتأكد به ما قررته في قول شيخنا المشهور ، وشيخه احمد الجنيد أن العلويين كانوا يجتنبون اسم أبي بكر وعمر لأن أهل

---

(١) نسيم حاجر ص ٨ .

(٢) الروض المزهر شرح قصيدة مدهر مخطوط ص ١٣٥ .

حضرموت شيعة من تخصيص التشيع بالعلويين ، ومن على شاكلتهم ، وإني بتمعني العموم وأكثر أهل حضرموت إذ ذاك إباضية).[١]

وقام معه في هذا القول المؤرخ صالح بن علي الحامد ردءا يصدقه قائلا : (إن المهاجر أحمد بن عيسى بقي على مذهب آبائه وأسلافه الأقدمين مذهب الشيعة الإمامية الذي يعدون المذهب الشيعي الإمامي مذهبا قوميا لهم ولأتباعهم)[٢]

وذكر أن عبد الله بن طاهر الحداد كان يقول : إن النفس تميل إلى كون المهاجر إمامي المذهب ، وإن مذهب الشافعي كان متأخر الدخول إلى حضرموت عن هذا التاريخ .

ولم يكتف الحامد بموافقة ابن عبيد الله بل نراه يشن النكير على من يخالفه مما يزعم شافعية أحمد بن عيسى بأنهم (كانوا في عصور متأخرة تفصلهم عن العلم بحقيقة الأمر ، مع فقد النقل عصور قرون ، وليس هناك دليل يستندون إليه ، اللهم إلا اعتماد على الاستصحاب المقلوب لكون بنيه وذريته كانوا شافعيين ، إذا فكر الحصيف مليا رأى نفسه في ريبة من الأمر)[٣]

ونحن أولى بالشك والريبة من هذا الحصيف وغيره ممن يعرض التفاصيل في خبر المهاجر وتفصله عن العلم بحقيقة الأمر مع فقد النقل قرون ، وإفراد الكلام عن مذهب المهاجر الشافعي بالشك دون سواه من مراحل الهجرة تفريق بلا حجة .

والحكومة بين المتخاصمين في هذا الأمر تحتاج إلى النظر في الأدلة ، ولا يوجد من النقل في تلك العصور ما يقطع الخصام ، وتخلو مصادر فقهاء الشافعية ـ مثل فقهاء طبقات

---

(١) إدام القوت ١ / ٣٠٦ .

(٢) تاريخ حضرموت ١ / ٣٢٤ .

(٣) ص ١ / ٣٢٣

اليمن لابن سمرة ـ عن ذكر العلويين في تلك الفترة مع ذكر كثير من فقهاء حضرموت فإما أنه لا يوجد فيهم عالم آنذاك وإما أنهم ليسوا بشافعية فلا يتفق مع موضوع الطبقات .

فإن صح ما قاله ابن عبيد الله في حديث الإمامية فإن فضل أهل حضرموت عليهم كبير لانتشالهم من هذه البدعة التي زالت بسبب المخالطة ، وليس المنة التي زعموها في إنقاذ أحمد بن عيسى أنقذ أهل حضرموت من الإباضية ، والمصادر تمد في عمرها إلى القرن السادس الهجري .

ومما أفاده ابن عبيد الله أن سبب تأخر العلويين عن استيطان المدن الكبرى في حضرموت إنما كان سبب اختلاف المذهب ، وينقل عن عمر الحداد أن المشايخ بتريم اشمأزوا ـ بادي الأمر ـ من العلويين ، وقال : إنه ما زالت المجاذبة بين العلويين وبين السنيين من علماء الشافعية حتى كانت الغاية الاتفاق على منتصف الطريق ، فإن الذين تديروا تريم من العلويين وافقوا المشايخ في الأخذ بالمذهب الشافعي ، وبعض الآراء الأشعرية ، وأكثر المشايخ بتريم وافقوا على القول بالقطبانية ، وهو المذهب الإمامي بنفسه ، فإن لم يكنه فإنه أخوه .

وبالجملة فإننا نذكر ذلك على الحكاية وإلا فسبيلنا سبيل الواقفة في هذه التفاصيل والعلة تدور مع معلولها حيث أننا تفصلنا عن هذه الفترة قرون .

وما زالت المجاذبة تعمل عملها حتى آل الأمر عند المتأخرين إلى القول بخلافة الثلاثة ، والتأكيد على هذا كما هو الحال عند أبي بكر العيدروس العدني في قوله الذي يشعر بأن هناك من ينال من خلافة الشيخين فيرد عليه قائلا بكل صرامة :

(والله العظيم لو بعث الله والدي الشيخ عبد الله وأستاذي الشيخ سعد ، وذكرا لي أن سيدنا علياً أفضل عند الله من سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما ما رجعت عن معتقد أهل السنة والجماعة من أن أبا بكر وعمر وعثمان أفضل من علي رضي الله عنهم أجمعين). [١]

وديوان الحداد يصرح بذكر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وكفى بهذين الشيخين ـ أعني العيدروس والحداد ـ حجة على المتأخرين منهم .

* * * *

(١) النور السافر ص ٤٥ .

ثالثا : الإسماعيلية بحضرموت

وقد عرفت حضرموت الاسماعيلية بوجهتيها القرامطة والصليحيين فأما القرامطة فقد دخلوا حضرموت في القرن الرابع الهجري وكانت الإباضية لم تزل في شبابها ، قال البشاري ـ توفي نحو ٣٨٠ ه ـ (حضرموت: هي قصبة الأحقاف ، موضوعة في الرمال عامرة نائية عن الساحل، أهلها لهم في العلم والخير رغبة، إلا أنهم شراة شديد سمرتهم) (١)

وفي ظل هذه الكثرة من الإباضية بحضرموت ووجود الإمام الذي بايعوه ، ورغبتهم في الخير ، إلا أن ذلك كله لم يحل دون دخول القرامطة إليها ، ولم يغن شيئا في صد هجومهم بل وانتصارهم على أهل حضرموت ، واستطاعوا أن يعنوا لهم أميرا بها ، كما قال البشاري (وعمان للديلم ، وهجر للقرامطة وعلى الأحقاف أمير منهم) (٢)

وأما الدولة الصليحية فهي تابعة للدولة الفاطمية الإسماعيلية ، ونشأت في اليمن على يد علي بن محمد الصليحي سنة ٤٣٩ هـ قال الديبعي : (إن علي بن محمد الصليحي قد ملك ملكه مكة إلى حضرموت سهلا وجبلا سنة ٤٥٥ هـ ، وهو الهمداني الداعي القائم بدعوة العبيدين في اليمن). (٣)

وكانت الإباضية تصول وتجول بحضرموت آنذاك ، وهي ذات شوكة فتصدوا لهم ، ودخل إمام الإباضية أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي في حروب معهم ، وأوقف توغلهم في البلاد كما ذكر في ديوانه السيف النقاد ، وباستقراء الديوان نرى وصفهم على النحو التالي :

---

(١) أحسن التقاسيم ١ /٣١ وقال ص ٣٥: أهل الاحقاف نواصب غتم .

(٢) أحسن التقاسيم ١ / ٣٥ .

(٣) تاريخ الديبعي .

أولا : دول الأنجاس

في سياق عن إمامته التي أصابها الوهن ، فنال منها الأعداء ، وخذله الأصدقاء ، يتأوه من هذا الحال بزفرات تنم عن مدى لوعته قائلا :

لهفي على رجل في حضرموت حكى — أن العـــباد لهم مذ كانت البلــد

لو كــان في ملكهم فخر ومــكرمة — ما ناله منهم في عصـــرنا أحـــد

لكنـــها دول الأنــــجاس منتنة — قد صاننا عن ذراها الماجد النجــد

ثانيا : أخذ الإمارة

وبعد أن تمكن خصوم أبي إسحاق من أخذ بعض ما في يده ، نـادى في أعوانـه ومـنهم حشمر بن جناح يستفزه بذكر ما أحدثه الأعداء قائلا :

أمــن المكــارم أن تــركة يعـــرب — يتخدمـــون لكل كلـــب صاحي

خـــدمت عبيد أراذل كبهـــــائم — أخـــذوا الإمارة عنوة كســـفاح

ثالثا : خدمة الكافر

ونراه يسح الدموع أسى وهو يرى من بنات يعـرب مـن تنـادى بـالبيع ، وذلـك بعـد ضعف الدين حتى تترب خد الدين عند قومه على حد تعبيره ، ثم ينـادي في عمومتـه مـن بني عبد المدان ، وقومه من همدان بالإنتقام قائلا لهم :

أراكـم خضعتم واختدمتم لكــافر — وعلـمي بكــم لا تخضعون لمـذنب

رابعا : حرب الكافر

ويشرح في كثير من شعره ما حل بالإسلام من هؤلاء ، وذلك أنهم قد أسروا النساء ، واستباحوا المحارم وهو أمر معروف عن الصليحيين ويوضحه ما ورد في الرائية :

كيف اصطباري والعذارى من بي	قحطان في أسواق بيع الباقر
إني وإن لم تعرف التقوى فقد	أعددتها حتفا لحرب الكافر
كم مسجد أضحى خرابا بعد ما	قد كان معمورا بذكر الذاكر
أين التراويح التي قد سنها	ليث الورى الفاروق صنو الطاهر
ما بال شهر الصوم لا صوم به	ما بال تحليل السلاف الخامر

خامسا : بواطن السوء

وقد فصل القول في قصيدة أخرى إلى ما أحدثه هؤلاء الغزاة ، وهو يستنجد بأبي يعلا حمزة ، ويصرح بأن خصومه هم الباطنية قائلا :

صلاة وصوم عطلا ومساجد	معطلة إلا لروث البهائم
عمرن ديار الخمر للخمر والزنا	وعطل حد الواحد المتقادم
وكم محقوا من سنة لا أبا لهم	وكم نصبوا من بدعة ومآتم
أبيح الحمى باح الدما فتهكت	ستور الورى بيعت عذارى المكارم
فهذا وفيما قيل إن لديهم	بواطن سوء الفاحش المتقادم

وكان دخولهم حضرموت في إمامة أبي إسحاق إبراهيم بن قيس الهمداني الإباضي وقد استنجد بإمام عمان الخليل بن شاذان كما في قوله :

ولم يبق لي إلا الصليحي قائما	وها هو ذا سعده غير قائم

وقامت الحرب على ساق ووجه نداء آخر إلى الخليل فقال :

انصر أخـــاك فإن الحرب قائــمة   والحــق يطلب من أهلـــــه أركانا

إن الــــذي عمـرت صنعاء دولته   بالفســق أصبح من مولاي فزعانا

* * * *

رابعا : ناشر الشافعية بحضرموت يحذر من الإسماعيلية

انتشر المذهب الشافعي بحضرموت على يد الإمام أبي عبد الله محمد بن علي القلعي ت ٥٧٧ هـ بظفار ، وتخرج به شيوخ حضرموت ومن كتبه كتاب (أحكام العصاة من أهل الإسلام المرتكبين الكبائر) وهو يتحدث عن بعض طوائف المتصوفة والإسماعيلية ، ويحذر أهل حضرموت وغيرهم من عقائد الإسماعيلية الكفرية ، وممن عاصره أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد باعيسى المعروف بأبي جحوش قاضي شبام توفي سنة ٥٥٣ هـ ، وقد وصف في تاريخ شنبل بأنه محيي السنة ومميت البدعة ، فأما السنة فهي صراط مستقيم واحد معروف ، وأما البدعة التي أماتها ففروعها كثيرة ، ولم يتفضل أحد ببيان هذا الإجمال ، وكذلك وصف الشيخ سالم بافضل ت ٥٨١ هـ ـ تلميذ الإمام القلعي ـ بهذا الوصف ، وقال فيه الإمام القلعي :

فبسالم سلمت شريعة أحمد ... عما يؤود قناتها أو يكسر

ونص كلام القلعي عند ذكره الإسماعيلية وطائفة من الصوفية :

(وهذان الصنفان في الكفر، والإضلال أشدُّ وأضرُّ على الإسلام وأهله مِن غيرهما، وجميعهم ممن يساق إلى النَّار مِن غير مسألةٍ ولا محاسبةٍ ولا خُلُوصَ لهم منها أبد الآبدين، يعني: هذه الفرقة التي ذكرتُها مِن الصوفية ، وفرقة مِن الإسماعيلية الباطنية ، وهم قوم منهم يدَّعون أنَّهم قد اطلعوا على أسرار التكليف، وأحاطوا علماً بموجبه، وأنَّه إنَّما شرع ذلك للعامَّة ليرتدعوا عن الأهواء المؤدِّية إلى سفك الدماء، فيُحفظ بذلك نظام الدنيا، وذلك للمصالح العظمى التي لم يطَّلع عليها الأنبياء، ومَن قام مقامهم في السياسة، قالوا: ولهذا اختلفت الشرائع لاختلاف مصالح النَّاس باختلاف الأزمنة بهمَّتنا، وقوَّة رأينا، وفي

أحلامنا ما نستغني به عن التزام سياسة غيرنا، والانتظام في سلك المبايعة لغيرنا فـلا حظـر علينا ولا واجب .

فإذا سئلوا لأيِّ شيءٍ تُصلُّون وتصومون، وتأتون بما يأتي به المسلمون مِن الواجبـات؟ قالوا: لرياضة الجسد، وعادة البلد، وصيانة المال والولد - أي: مِن القتل- .

ولأنَّ هذين الصنفين متفقان في أصل الاعتقاد وإن اختلفا في التأويـل إلاَّ مَـن عصـمة الله تعالى منهم أعني: مِن فرق الصوفية ، والتزم أحكام الشريعة، والعمل بها، وحقَّ العلماء والفقهاء - يعني: اعترف لهم بالحق - ولم يَدخل في شيءٍ مِن هذه الخـزعبلات والأباطيـل التي دخلوا فيها؛ فصحَّ اعتقاده، وصفت سريرته: فإنَّه مُبرَّأ مما هم عليه) .

* * * *

خامسا : الترضي على الصحابة في خطبة الجمعة والتراويح

وقد اشتهر الترضي عند أهل حضرموت بذكر الأربعة في مجامعهم في أمرين :

أحدهما : خطبة الجمعة ، ففي فتاوى ابن حجر ما نصه : وأما حكم الترضي عن الصحابة في الخطبة فلا بأس به سواء أذكر أفاضلهم بأسمائهم كما هو المعروف الآن أم أجملهم ، ونقل الرملي في حاشيته عن ابن عبد السلام إن الترضي عن الصحابة رضي الله عنهم على الوجه المعهود في زماننا بدعة غير محبوبة وبحث بعضهم استحبابه حيث كان في بلد الخطبة مبتدع لا يحب الصحابة إذا لم يؤد ذلك إلى فتنة .[١]

وثانيهما : الترضي بين تسليمات التراويح ، فيبدأ بالصلاة على النبي r ثم الترضي على الأربعة ، وقد سئل الفقيه باحويرث في فتاويه هل تسن الصلاة عليه r بين تسليمات التراويح أو هي بدعة ؟ فنقل جواب ابن حجر بما حاصله الصلاة : (في هذا المحل بخصوصه لم نر فيه شيئا من السنة ولا في كلام الأصحاب ، فهي بدعة ينهى عنها من يأتي بها بقصد كونها سنة لا من حيث العموم بل جاء في الحديث ما يؤيد الخصوص إلا غير كاف في الدلالة لذلك).[٢] قلت : والصحيح أنها فعله المذكور بدعة مطلقا والله أعلم .

---

(١) انظر إعانة الطالبين ٢ /٦٧ ــ حاشية الرملي ١ /٢٦١ .

(٢) فتاوى باحويرث المخطوطة باب التطوع . وفي بغية المسترشدين ١ / ٧٤ أن الترضي عن الصحابة لم يرد بخصوصه هنا كبين تسليمات التراويح ، بل هو بدعة إن أتي به يقصد أنه سنة في هذا المحل بخصوصه لا إن أتي به بقصد كونه سنة من حيث العموم ... قلت : وهو تقرير ابن حجر .

الموضوع الثالث : ترجمة العلامة بحرق [1]

اسمه : جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي الشهير بحرق ، وكان مولده في ليلة النصف من شعبان سنة ٨٦٩ هـ بمدينة سيؤون

شيوخه : وهم على ثلاث طبقات :

ـ أولها : من أخذ عنهم في نشأته بسيؤون فحفظ القرآن وأخذ عن جماعة من فقهاء حضرموت معظم الحاوي ومنظومة البرماوي في الاصول وألفية النحو .

ـ ثانيها : لما ارتحل إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد بامخرمة ، واشتغل عليه في الفقه وأصوله والعربية حتى كان جل أنتفاعه به، وقرأ عليه جميع الفية ابن مالك في النحو، وجميع سيرة ابن هشام وجملة صالحة من الحاوي الصغير في الفقه ، وسمع عليه جملة من علوم شتى ، وكذلك أخذ عن الفقيه الصالح محمد بن أحمد بافضل .

ـ ثالثها : ارتحل إلى زبيد وأخذ عن علمائها فأخذ علم الحديث عن زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي، وعلم الأصول عن الفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ، وكذلك أخذ عنه التفسير والحديث والنحو وقرأ عليه شرح البهجة الوردية ، وأخذ أيضاً عن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل، والشيخ أحمد بن عمر المزجد ، كما سلك التصوف بزبيد ، ولما حج في سنة أربع وتسعين وثمانمائة سمع من الحافظ شمس الدين السخاوي ،

---

(١) انظر ترجمته في النور السافر لعبد القادر العيدروس ـــ السناء الباهر للشلي ـــ تاريخ الشحر لبافقيه ـــ صفحات مجعولة من تاريخ حضرموت لسعيد بن عوض باوزير .

وذكره السخاوي في ضوئه قال: وصاهر صاحبنا حمزة الناشري على ابنته واولـدها وتولـع بالنظم ومدح عامر بن عبد الوهاب حين شرع في بناء مدارس بزبيد والنظر فيها .

فقه العلامة بحرق :

اشتغل الفقيه بحرق بالفقه الشافعي تدريسا وإفتاء وقضاء وتأليفا :

الفتيا وتحرير المسائل : مما يدل على عنايته بتحرير المسائل الخلاف الذي جرى بينـه وبـين والفقيه عبد الله عبسين في مسألة في الفقه ، وطال النزاع بينهما حتى أشتهر بين الناس ، فجاء صاحب الإمام ابن عبسين إلى الفقيه بحرق ومعه كتاب الروضة للنووي فأوقفه على المسألة فرجع إلى قوله ، ثم إن الفقيه بحرق صعد المنبر وخطب وقال: إلا أن المسألة التي أختلفـت فيها أنا والقاضي ابن عبسين وجدت الحق فيها معه.

وهذا يدل على ورع وتواضع وإنصاف ورجوع إلى الحق عزيز في مثل هذا الموضع .

قضاء الشحر : تولى القضاء بالشحر أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العـاشر الهجـرى، وعرف بغزارة العلم ، والنزاهة ، فإنه لا يخاف في الحق لومة لائم ، وذلـك لمـا أراده الأمـير مطران بن منصور أمير الشحر أن ينفذ له رغبة فرفض وطلب إعفاءه مـن القضـاء حتـى لا يبوأ بالإثم .

سعة فقهه : ومما يدل على سعة فقهه ما اختاره في مسائل مـن بيـع العهـدة الـذي اشـتهر بحضرموت ، وكان يرى أنه يستمر عقـد العهـدة سـواء حجـر عـلى المعهـد أو مـات، ولم يستفسخ وارثه ، وقال بالتعلق هو وابن عبسين خلافا لفقيه العهدة ابـن مـزروع ، الموافـق لقواعد المذهب لخروج المعهد عن ملك المعهد ، وقد نظر الفقيه بحرق إلى مقاصـد ، وقـد رد عليه مع ابن عبسين الإمام عبد الله بافضل ردًا بليغًا وأطنب في منع القول بالتعلق .

مجاراة الصوفية : عرفت حضرموت مدرستان هما الفقيهة والصوفية ، فحين تقوم الأولى على الاستدلال والعلم ، فإن الثانية لا تلوي على غير التحكيم للشيوخ وعدم الاعتراض عليهم ، وقد عرفت حضرموت وئاما بين المدرستين ، فكان الفقهاء يحسنون الظن بالصوفية مقابله أن المتصوفة لا يعادون الفقهاء ، وإن كانت الغلبة لأهل التصوف ، ومن هنا نجد أن الفقيه بحرق يحسن الظن بصوفية عصره وكان شيخه أبو بكر العيدروس العدني أحد أقطاب الطريقة .

وكان بحرق ينكر تصرفات شيخه المالية التي عبر عنها بألطف عبارة فقال أنه يباشر تصرفات مالية في قبضها وصرفها في ظاهر الأمر في غير مصارفها ، وهي عبارة تخفي ما وراءها ، وسأل عنها الفقيه محمد بن أحمد باجرفيل. فأجابه بمنطق غلاة الصوفية في تقديس الشيوخ وأنه أمير المؤمنين المالك للتولية والعزل والحل والعقد، والتصرفات كلها .

كما سأل الحسين بن صديق الأهدل عن شيخه أبي بكر العيدروس التي اشكلت عليه فقال: دعها تحت حجابها، مستورة بسحابها ، غير أنه كان لا يرى النهي عن مطالعة كتب ابن عربي كالفصوص والفتوحات .

كثرة مصنفاته : يعد من أكثر علماء حضرموت تأليفا وأهم كتبه : كتاب الحديقة الانيقة في شرح العروة الوثيقة، وكتاب عقد الدرر في الإيمان يالقضاء والقدر، وكتاب العقد الثمين في أبطال القول بالتقبيح والتحسين، وكتاب الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول، وكتاب العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية ، وذخيرة الأخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن، وكتاب النبذة المنتخبة من كتاب الاوائل للعسكري، وكتاب ترتيب السلوك إلى ملك الملوك، وكتاب متعة الاسماع باحكام السماع المختصر من كتاب

الامتاع ، وكتـاب مواهـب القـدوس في مناقـب ابـن العيـدروس، وكتـاب شرح الملحـة للحريري، وشرح لامية ابن مالك في التصريف ، وله أيضاً رسالة في الحسـاب ورسـالة في الفلك، والمنظومة في الطب وشرحها

ـ **الفقيه بحرق في الهند** : وفد الفقيه بحرق إلى سلطان كجـرات بالهنـد مظفـر شـاه الثـاني حكم (٩١٧ ـ ٩٣٢ هـ) ، وكان عادلاً فاضلاً محباً لأهل العلم، الذي صنف بسببه السـيرة النبوية ، ولم يزل بالهند حتى مات مسموما سنة ٩٣٠ هـ رحمه الله تعالى .

* * * *

الموضوع الرابع : الباعث على التأليف ونسختا التحقيق

إن الباعث على تأليف كتاب الحسام المسلول على منتقصي الرسول يعود إلى سؤال أورده على المؤلف أحد فقهاء اليمن هو شرف الدين أبو القاسم بن سليمان الحرازي بلدا المنسوب إلى بيت الحازي ، وهو أحد فضلاء اليمن كما يدل عليه نعت العلامة بحرق بقوله : (فقد وصلني كتاب كريم ، من أخ في الله صديق حميم ، وهو الفقيه الأجل الصالح الفاضل الكامل) ويكفي هذا دلالة على سعة علم السائل وفقهه وصلاحه ، شهادة المسؤول فإنه أعلم به ، ولم نألو جهدا في طلب مزيد من تفصيل للإجمال الوارد في نعت بحرق فلم نظفر بشيء ، وما زلنا نساءل عنه أصحاب التراجم التي تعنى بطبقات علماء اليمن فلم يرشدنا أحد .

وهذا الكتاب الذي بعثه شرف الدين يستنجد فيه بالإمام بحرق ، لنجدته في الدفاع عن الحق ، ودر شبه داعي الإسماعيلية الذين بقيت منهم بقية في مواضع من اليمن منها حراز ولا يزالون ، ويطلب من بحرق الحجج الدامغة لتلك الشبه الخطيرة التي تهدف إلى تشكيك العوام ثم اصطيادهم لهذه الفرقة .

وقد أنجده العلامة بحرق ، لحديث أبي هريرة مرفوعا : (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار) . [١] وكانت إجابته شافية كافية تفي بالرد ، وختمها بشعر يرد على داعي الإسماعيلية في أبيات له ذكرها السائل في جملة أسئلته .

(١) رواه الإمام أحمد ، وانظر صحيح الجامع رقم ٦٢٨٤ .

زمن تأليف الكتاب : وقد ألف العلامة بحرق هذا الكتاب سنة ٩٠٠ هـ أي وعمره إحدى وثلاثون سنة ، في عهده الأول بالتأليف والاشتغال بالعلم والتصنيف ، وفي ذلك دلالة على تفوقه ونبوغه رحمه الله .

نسختا التحقيق

رجعت في تحقيق كتاب الحسام إلى مخطوطة عثرت عليها أولا ، ومطبوعة حصلت عليها لاحقا :

ـ الأولى : مخطوطة ورمزت لها بالنسخة (أ) وهي الأصل في التحقيق ، وتقع في ١٠١ صفحة ، كان الفراغ من كتابتها ظهر الإثنين في ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ بقلم الفقير إلى ربه عوض بن محمد بن أبي فضل ، نقل من نسخة قديمة دقيقة الخط تحتاج مقابلة هذه على الأم أو غيرها .

ـ الثانية : مطبوعة رمزت لها بالنسخة (ب) ، وهي الفرع ، كتب بذيلها (كان الفراغ من أصله في شهر المحرم سنة ١٣٤٨ هـ بيد كاتبه الفقير فضل بن محمد بن عوض بافضل الحضرمي عفا الله عنه) وطبعت بتحقيق وتصدير الشيخ حسنين محمد مخلوف ، وهو يؤكد في بعض تعليقاته بالنظر في ثبوت الأقوال والروايات .

وقد عملت بما تمت إليه الإشارة في النسختين ، فرجعت إلى نسخة أخرى للمقابلة ، وهو ما رجاه ناسخ المخطوطة (أ) ، وقمت بتحقيقها ولم أمر على الأحاديث مرور غير الكرام ، فإن الكرام من شأنهم أن يبينوا الأحاديث سقيمها وصحيحها ، وهو الأمر الذي أمد عليه في تعليقه صاحب المطبوعة (ب) .

الموضوع الخامس : كتاب الحسام المسلول

وقد جاءت موضوعات كتاب الحسام المسلول على النحو التالي :

ـ **تمهيد** : ذكر فيه السبب الداعي لتأليف الكتاب ، وهو الكتاب الـذي بعثـه الفقيـه شرف الدين أبو القاسم بن سليمان الحرازي يذكر فيه شبه داعي الإسماعيلية .

ـ **مقدمة** : فيما يتعلق بهذه المسألة من معتقد أهل السنة والجماعة في خمسة أشياء : وجـوب الإمامة ، ثم بيان شروطها ، ثم بيان ما تثبت به ، ثم بيان الإمام الحق ، وترتيـب الخلفـاء في الفضل ، ثم بيان ما يجب لهم ولسائر الصحابة من التعظيم .

ـ **فصول الكتاب** وهي :

ـ **فصل** فيما أورده الخصم من تعداد مناقب علي رضي الله عنه ، وفضله لا ينكـر ، وعلـو منصبه وجلالة قدره أشهر ، ولكن للصديق أيضا من الفضل ما هو أكبر .

ـ **فصل** في ذكر طرف من ثنائه عليه الصلاة والسلام وأهل بيته على الصحابة ، وحثه أمته على حبهم ، والتحذير عن سبهم ، والكف عما شجر بينهم .

ـ **فصل** في حسن الأدب معهم رضي الله عنهم ، وأن نتلقى ما ورد من فضائلهم

ـ **فصل** في نقض شبه الداعي الإسماعيلي والتفصيل في جواب السائل .

ـ **الخاتمة** : وفيها فصلان :

ـ الأول : شرح حديث (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم ....)

ـ الثاني : في الحث على محبة أهل البيت والتنبيه على جلالة قدرهم وعلو مجدهم .

ـ **القصيدة الشعرية** التي يرد فيها على أبيات داعي الإسماعيلية الواردة في السؤال.

كتاب الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول r

بسم الله الرحمن الرحيم (وبه ثقتي)

الحمد لله أفضل الحمد وأكمله وأشمله ، حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، والشكر لمولى الحمد ومستحقه على ما منّ به من التوفيق والهداية إلى سواء الطريق ، وأنعم به من العرفان والتحقيق ، والاتباع والتصديق ، لنبيه محمد r الذي فضله على جميع الخلائق ، وبعثه بخير الأديان والطرائق ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وأعاذ إجماعها المعصوم من كيد الخناس ، واتباع الوسواس ، وحفظ فيها كتابه المبين ، وشرعه المتين ، بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله r : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) . [1]

وقال r : (ستفترق أمتي إلى اثنتين وسبعين فرقة كل فرقة منها تدعو إلى النار ، والناجية منها فرقة واحدة ، قيل : يا رسول الله من هم ؟ قال هم المتمسكون بما أنا عليه وأصحابي) . [2]

والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد وصلني كتاب كريم ، من أخ في الله صديق حميم ، وهو الفقيه الأجل الصالح الفاضل الكامل شرف الدين أبو القاسم بن سليمان الحرازي بلدا المنسوب إلى بيت

---

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة من حديث ثوبان مرفوعا بزيادة حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) .

(٢) رواه الترمذي بلفظ (وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي) وهو صحيح ، وعند ابن ماجة عن عوف بن مالك مرفوعا قال الجماعة .

الحاري[١] ، وهو يستغيث إلى الله عز وجل ثم إلى المملوك يريد الجواب على ثلاثة عشر سؤالا مشتملة على شبه مضلة ، وأوهام عند إشراق الحق مضمحلة ، يستغوي داعي الإسماعيلية [٢] من حمقى الرجال ، وطغام الجهال ، من هو شبه المجانين في الدين ، ومن الزنادقة الغاوين ، الذين خدعهم الشيطان اللعين ، الذين قال فيهم وفي أتباعهم أصدق القائلين :

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الألْبَابِ) .

فما خص به سيدي من السلام فعليه وعلى من حضر مقامه الكريم أضعاف أضعافه ، وليعلم الأخ في الله تعالى أن الدعاء له ولهم مبذول ، ومن الجميع مسؤول ، والرجاء في الله حسن القبول .

ثم حاصل ما يشير إليه [٣] في المكاتبة والأسئلة أن قال السائل في مكاتبته وينهي تعريف خاطركم الكريم أنه قد ظهر في جهاتنا [٤] فتنة عظيمة من رئيس الإسماعيلية عندنا ، وصار يدعو من جاوره من أهل السنة إلى الدخول في مذهبه وبدعته ، ويذكر لهم الأحاديث الواردة في فضل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ويستدل بها على تعين

(١) حراز بلاد لهمدان غربي صنعاء على مسافة يومين ، وبها جماعة من الإسماعيلية ، وينسب إليه عدد من العلماء .

(٢) لم أظفر له بترجمة ، وقد شهد لعلامة بحرق بعلمه وفضله وصلاحه .

(٣) نسخة (ب) زيادة سيدي .

(٤) نسخة (ب) بلادنا .

خلافته كحديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) [١] وحديث (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) [٢] ، وحديث المؤاخاة إلى غير ذلك . [٣]

ويحتج بها على أن عليا هو الوصي بالخلافة من رسول الله r ، وأن خلافة الثلاثة قبله معصية غير مرضية ، مخالفة لنص رسول الله r ، واستحل بذلك سب الصحابة رضي الله عنهم لتعاونهم على تقديم أبي بكر فمن بعده ظلما ، وقد غر بهذه الشبهة خلقا كثيرا ، وعظم ضرره على أهل السنة ، ولم يقع من علماء تلك البلاد ما يدفع شبهته ، ويبطل حجته ، وقد كتبت إليكم شبهته التي أغوى بها كثيرا من العوام ، ولبس بها على الطغام ، فتفضلوا بما يدفع شبهته من الحجج البالغة ، والبراهين الدامغة ، والدلائل بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار الصحابية والتابعية ، فالغوث الغوث .

وقد علمتم أن الرد عليهم من فروض الكفاية (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فالهمة الهمة ، القيام القيام ، وجوبوا بجواب مبسوط شاف كاف مع المبادرة ، فإن داعي الإسماعيلية قد كتب جوابا على ما يدعيه من الأحاديث التي كتبتها لكم مطولا ثم ختم بأبيات من شعره يمدح فيها مذهبه وأهله [٤] ، ويذم من خالفه فاجعلوا أيضا ختم جوابكم أبياتا من الشعر في فضل السنة وأهلها ، وفضل الصحابة ، وفضل الأئمة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث زيد بن أرقم مرفوعا وهو صحيح .

(٢) متفق عليه من حديث سعد مرفوعا بزيادة إلا أنه لا نبي بعدي وسيأتي سبب وروده .

(٣) حديث ابن عمر مرفوعا (يا علي أنت أخي في الدنيا والآخرة) رواه الترمذي وهو ضعيف جدا انظر ضعيف الجامع (١٣٢٥)

(٤) سقطت كلمة أهل من (ب) .

فمن الأحاديث التي أوردها الإسماعيلي ما في مسند الإمام أحمد أنه r أخذ بيد علي رضي الله عنه بعد أن جمع الناس للصلاة بغدير يقال له غدير خم ـ بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم ـ وقال ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : (اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) (١)

وقال الإسماعيلي : إن المولى في الحديث بمعنى الأولى ، وأنه إنما أراد لعلي من الولاء عليهم ما له r من الولاء ، قال وقوله قبل ذلك ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم بيان لهذا وإلا لذهب ذلك سدى ، وقال لو كان المولى بمعنى الناصر أو غيره لم يحتج إلى جمع المسلمين وإشهادهم ولا أن يأخذ بيد علي لأن ذلك يعرفه كل أحد ، ولا كان يحتاج إلى أن يدعو بقوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه لأن مثل هذا لا يكون إلا لإمام مفترض الطاعة .

وبهذا الحديث وغيره من نحو قوله r (علي ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي) (٢) وقوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) ونحو حديث المؤاخاة احتج على ما ادعاه فبينوا حل هذه الشبهة .

ومنها : أنه زعم أن عليا رضي الله استنقذ أم ابنه محمد بن الحنفية من يد أبي بكر حين سباها في الردة ثم تزوجها علي من وليها بعقد صحيح ، إذ كان يرى أن لا يحل لأبي بكر سبيها لأنها من قوم لم يجر منهم ما يوجب قتالهم ، وإنما كان منهم منع الزكاة فقط ، وذلك

(١) مسند الإمام أحمد (٩٦١) .

(٢) ورد من حديث عمران بن الحصين مرفوعا " ما تريدون من علي ؟ إن عليا مني و أنا منه و هو ولي كل مؤمن بعدي " رواه أحمد والترمذي والنسائي ، وهو في " السلسلة الصحيحة " ٥ / ٢٦١ .

وعند أحمد بلفظ (أنت ولي كل مؤمن بعدي) ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

لا يوجب الردة هذا كلامه ، وأراد بذلك أن عليا كان يقدح في خلافة أبي بكر ولا يعتقد صحتها .

ومنها : أنه زعم أن عليا لم يصل صلاة خلف أبي بكر ولا غيره ولا تأمر عليه أبو بكر ولا غيره .

ومنها : سؤال من السائل نفسه أخبرونا كم صلى أبو بكر بالناس من أيام في مدة مرض رسول الله r ؟ وهل صلى النبي r خلف أبي بكر رضي الله عنه في مرضه كما صح أنه r صلى خلف عبد الرحمن بن عوف في صحته ؟

ومنها : أنه زعم أن دفن أبي بكر وعمر عند رسول الله r ما كان عن إذن منه ، ولا أمر أن يشق لأحد في بيته قبر ، وقال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم .

ومنها : أنه زعم أن لكل نبي وصيا ، وكان النبي r يأمر بالوصية في الأولاد وقضاء الديون ، فكيف ترك نفسه ولم يوص بالخلافة إلى أحد في زعمهم ، ويترك الأمة يتيهون في الضلالة .

ومنها : أن المسلمين أجمعوا على تسمية علي رضي الله عنه وصي النبي r فوجب أن يكون وصيا بالخلافة .

ومنها : أن عثمان لما ولي قعد على المنبر في مقعد رسول الله r في ذروته مع أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه نزل عن ذلك درجة وعمر درجتين ، وأنه نفى أبا ذر ، وآوى مروان وأقطعه فدك ، وهي صدقة النبي r إلى غير ذلك من الأمور التي من فعل بعضها لم يستحق الإمامة ووجوب الطاعة .

ومنها : أن عمر كسر سيف الزبير وضرب سعد بن عبادة وذلك يقدح في إمامته .

ومنها : وهي من السائل أنه أشكل علينا ما ذكره الواحدي في تفسير قوله تعالى (وإذ أسر النبي ... الآية) أنه قال لحفصة أبوك وأبو عائشة واليا أمر الناس بعدي فإياك أن تخبري أحدا) وقال : كره أن ينتشر ذلك في الناس فما سبب هذه الكراهة وهو مأمور بالتبليغ.[١]

وكذلك في الحديث الذي ذكر فيه الرؤيا أنه r وزن هو وأبو بكر فرجح بأبي بكر ، فوزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر ، ووزن عمر بعثمان فوزن عمر بعثمان ، ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه النبي r ما سبب هذه الكراهة .[٢]

وكذلك حديث أنه r قال للعباس : (إن الله فتح بي هذا الأمر وبذريتك يختمه) .[٣]

وقال العلماء : أراد بذلك بقاء الخلافة في أولاده إلى يوم القيامة فأين خلافة بني العباس اليوم ؟

ومنها : صح أن عليا زوج ابنته أم كلثوم التي أمها فاطمة من عمر رضي الله عنهم فكيف صح هذا النكاح وغير الهاشمي ليس بكفء للهاشمي ؟ وقال الشافعي رضي الله عنه : ليس للرجل أن يزوج ابنته الصغيرة من عبد ولا من غير كفؤ فلو فعل ذلك لم يصح النكاح لأنه خلاف الغبطة والمصلحة .[٤]

---

(١) أخرج ابن عدي وأبو نعيم في فضائل الصديق وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن علي وابن عباس انظر تفسير الألوسي ٢١ /٩٣ــ روح المعاني ٢٨ /١٥١ ــ الدر المنثور ٨ /٢١٩ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي بكرة وصححه الألباني .

(٣) أخرجه أبو نعيم في " الحلية " من طريق لاهز بن جعفر قال : وهو حديث عزيز ،قال الألباني هو موضوع لأن لاهزا متهم . انظر السلسة الضعيفة والموضوعة ١ / ١٨٣ .

(٤) ذكره عن الشافعي النووي في المجموع شرح المهذب ١٦ /١٩٦ .

ومنها : ما روي أن فاطمة جاءت إلى أبي بكر رضي الله عنه وادعت أن النبي **r** نحلها فدكا أو سهما من فدك ، وأقامت عليا وأم أيمن يشهدان بذلك فلم يعطها شيئا وقامت مغضبة . (١)

ومنها : أن داعي الإسماعيلية زعم أن الخلافة محصورة في آل النبي **r** بما رواه البزار أنه **r** قال : (إني مخلف فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض) . (٢)

فقرن العترة بكتاب الله والتمسك بكتاب الله واجب فكذلك العترة انتهى كلامه .

فبينوا لنا ذلك بيانا شافيا متع الله بكم المسلمين .

ومن جملة شعره الذي ختم به احتجاجه على ما يدعيه من بدعته قوله :

وخذوا الجوابا مبينا ومبرهنا	عني فإني عبد آل محمد
من فضلهم وعلومهم لي حجة	كالشمس نورا واضحا للمهتدي
ولهم ولائي لا أريد سواهم	ومتين حبلهم به وثقت يدي
قرنا كتاب الله جل جلاله	لا افتراق إلى ورود المورد
سفن النجاة إذا طغى موج الهوى	وأمده بدع كموج مزبد

(١) روى البخاري ومسلم عن عائشة: (أنَّ فاطمة والعباس عليهما السلام أتيَا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله، وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فَدَك وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر: سمعتُ رسول الله يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة ...) وفيه : وقد وجدت عليه فاطمة رضي الله عنها في ذلك وهجرته، فلم تكلمه حتى ماتت .

(٢) روى البزار عن أبي هريرة مرفوعا (إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبدا : كتاب الله ونسبي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض) قال الهيثمي في مجمع الزوائد وفيه صالح بن موسى الطلحي وهو ضعيف . هـ .وروى عن زيد بن أرقم مرفوعا : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض " . ورواه الترمذي عن جابر مرفوعا (إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي) وهو صحيح .

وهـــــم أولو الذكر المبين ومنهم أنـــــوار صـــدق أصلها من أحمد

آل الرسول وحيـــدر من مثلهم في الخلق في شــــرف يجل وسـؤدد

فهذه جملة أسئلته ، وحاصل أبياته من جملة خمسة عشر بيتا [١] ، فالله الله ، الغوث الغوث ، الغارة الغارة أيدكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فيسر الله الجواب بتصنيف يهدي إلى جادة الصواب ، ويكشف عن تلك المشكلات النقاب ، ويزيل عن الواقفين الوهم والشك والارتياب ، ويبطل تلك الشبهة الزائغة ، ويفضح تلك الدعاوى الفارغة أداء لفرض الكفاية وقياما بواجب النصح والرعاية ، وسميته **(الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول)** وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى الله على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * * *

---

(١) البيت الثاني لا يوجد في النسخة (ب) .

6

وله الحمد ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الذي منّ على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آيته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وأكرم عصابة السنة بحبله المتين ، ونصرهم ، فكانوا هم الغالبين ، وآتاهم الفهم في كتابه المستبين ، وهداهم الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وجنبهم زيغ الضالين ، وضلال الملحدين ، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين ، وآله الأكرمين ، وصحبه الهادين المهتدين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين .

أما بعد :

فقد سمعت نداءك أيها الأخ المستنجد [١] ، وأجبت دعاءك أيها الصارخ المسترشد ، سلك الله بنا وبك قصد الطريق ، وأمدنا وإياك بالعصمة والتوفيق بما يجب علي لك من حق الإخاء والوداد ، ولله ورسوله من نصرة الدين والجهاد ، ولأئمة المسلمين وعامتهم من النصح والإرشاد .

فإنك ذكرت إنه قد انتشرت عندكم فتنة طار شررها، وشاعت لديكم محن عم ضررها ، من شخص من رؤوساء الإسماعيلية الضلال ، استحوذ على طائفة من العوام الجهال ، لبس عليهم بدعته فاتبعوه ، واستخفهم بشبهته فأطاعوه ، استزلهم بما يورد من الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه عن صحيح اعتقادهم ، واستزالهم بزعمه موالاته ونصرته عن طريق رشادهم ، حتى أدى بهم ذلك إلى القدح في

---

(١) النسخة (ب) أيها الأخ المسترشد وأجبت دعاءك أيها الصارخ المستنجد .

خلافة الصديق ومن بعده من الخلفاء الراشدين ، ثـم سـب سـائر الصـحابة ونسـبتهم إلى الفسوق والمروق من الدين .

وإنك تحب ما تستظهر به في دفع شبهته ، وتستضيء به مـن السـنة مـن ظلـم بدعتـه ، فاعلم أولا أن هذا دخان نار قد أوقدت قبل هذا الأوان ، وغبار جدار قد وقع منذ دهـور وأزمان ، قد تبين فيها الرشد من الغي ، واستبان فيها الصريح من اللي ، وعرف فيها الحـق من الباطل ، والباطل من الهدى ، فمن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليـا مرشدا .

* * * *

مقدمة

فيما يتعلق بهذه المسألة من معتقد أهل السنة والجماعة

وذلك في بيان خمسة أشياء : وجوب الإمامة ، ثم بيان شروطها ، ثم بيان ما تثبت بـه ، ثم بيان الإمام الحق ، وترتيب الخلفاء في الفضل ، ثم بيان ما يجب لهم ولسائر الصحابة من التعظيم .

الأول : قال أهل الحق : يجب على الأمة نصب إمام متبع في كل عصر وأوان لأن به ينصر الدين ، ويتمكن من قمع المفسدين ، ويؤخذ ما يجب أخذه ، ويدفع ما يجب دفعـه (ولـولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) .

والدليل على ذلك إجماع الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله r عـلى أنـه لا يجوز خلو الوقت عن من يرجعون إليه بعده في أمر الدين والـدنيا مـع أنهـم أعلـم النـاس وأورعهم وأتقاهم بل لما خطبهم أبو بكر وقال ألا أن محمدا قد مات ، وأنه لا بد لهذا الدين ممن يقوم به بادر الكل إلى قبول قوله ، وتركوا أهم الأشياء وهو دفن رسول الله r ، ثـم لم يزل المسلمون على ذلك .

هذا مع أنا نعلم أن مصالح العباد من أمر المعاش والمعاد لا تتم إلا بإمام يرجعون إليه ، وإلا ربما أدى ذلك إلى هلاكهم جميعا ، والتجربة تشهد لذلك مما يثور من الفتن ، ويهـيج من المحن عند موت الولاة إلى استقلال وال آخر ، بحيث لو تمادى ذلك لتعطلت المعايش ، وأدى إلى رفع الدين وهلاك المسلمين .

الثاني : يجب أن يكون الإمام (ذكرا) لأن النساء ناقصات عقل ودين ، (بالغا) لقصـور عقل الصبي واحتياجه إلى من يكفله ، فضلا عن أن يكون كافلا للأمة كلها ، (عاقلا) لمـا

ذكر في الصبي ، مسلما لقوله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المسلمين سبيلا) ، (عدلا) لئلا يجور ، (حرا) لئلا تشغله خدمة السيد ، (قرشيا) لقوله عليه الصلاة والسلام (الأئمة من قريش) . (١)

ثم إن الصحابة أجمعوا على العمل بمقتضاه ، (مجتهدا) في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين ، (ذا رأي) ليقوم بأمر الملك ، (شجاعا) ليقوى على الذب عما يجب عليه القيام بحفظه ، فهذه عشر شرائط .

ولا يشترط أن يكون هاشميا خلافا للشيعة للإجماع على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا يكون معصوما خلافا للإمامية ، ولا عالما بجميع المسائل المتعلقة بالدين .

الثالث : تثبت الإمامة إما بالنص من الإمام السابق بالإجماع ، أو بأن يبايعه أهل الحل والعقد خلافا للشيعة ، ولا يشترط حضور جميع أهل الحل والعقد لأن الصحابة رضي الله عنهم مع صلابتهم في الدين اكتفوا بمجرد عقد بيعة عمر لأبي بكر ، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان فبايعوهما ، ولم يتوقفوا في صحة إمامتهما إلى اجتماع أهل المدينة فضلا عن اجتماع أهل العصر .

الرابع : الإمام الحق بعد رسول الله r أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم لما سبق أن طريق ثبوت الإمامة إما بالنص وإما بعقد البيعة ، وقد انعقد الإجماع على أنه r لم ينص لأمته على استخلاف أحد معين ، وعلى انعقاد البيعة لأبي بكر ، ثم نص أبو بكر على خلافة عمر ، ثم عقدها المسلمون لعثمان ، ثم لعلي رضي الله عنهم .

---

(١) حديث صحيح رواه أنس بن مالك وعلي ابن أبي طالب وأبو برزة الأسلمي . انظر إرواء الغليل .

وأما ترتيبهم في الفضل فأجمع أهل السنة على ترتيبهم فيه على ترتيبهم في الخلافة ما خلا طائفة من السلف فإنهم توقفوا في التفضيل بين علي وعثمان ، ومنهم من فضل عليا عليه ، ونقل ابن عبد البر أن إجماع الخلف انعقد على ما عليه جمهور السلف من الترتيب .[1]

هذا مع الاتفاق على أن عثمان إمام حق لأن من استكمل شروط الإمامة صحت إمامته وإن كان مفضولا ، بل قد تجب تولية المفضول لكونه أصلح أو لكون نصب الأفضل مثيرا فتنة ، إذ المعتبر في ولاية كل أمر معرفة مصالحه ومفاسده[2] ، ورب مفضول في علمه وعمله هو بالإمامة أعرف ، وبالرعية أشفق وأرأف .

الخامس : يجب تعظيم كافة الصحابة رضي الله عنهم[3] ، والكف عن القدح في منصبهم الجليل وتطلّب المحامل الحسنة ، والتأويلات اللائقة بقدرهم فيما ينقل عنهم بعد العلم بصحة ذلك عنهم ، وعدم المسارعة إلى ما ينقله عنهم المؤرخون والأخباريون وأهل البدع المضلة المبطلون ، وإنما لمعتمد على ما يورده العلماء الراسخون في علم الحديث والسير بالأسانيد المعتمدة .

فإذا صح ذلك وجب حمله على أحسن المحامل لأن تقريره يؤدي إلى مناقضة كتاب الله تعالى وسنة رسوله r ، والخلف في قولهما محال ، ثم يؤدي إلى هدم أركان الشرع من

---

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستذكار ٥ /١٠٨ عن يحيى بن معين يقول من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعرف لعلي سابقته وفضله فهو صاحب سنة ومن قال أبو بكر وعمر وعلي وعثمان وهو عارف لعثمان سابقته وفضله فهو صاحب سنة .

(٢) في النسخة (ب) وقوة القيام به .

(٣) قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء١ /١٣٧٨ : لا يجوز استعمال كافة مضافة ولا بالألف واللام ، ولا تستعمل إلا حالا ، فيقال: هذا مذهب العلماء كافة .

أصله والإزراء بشارعه وناقله وأهله ، لأن الصحابة الذين نقلوا إلينا الشرع والتوحيد والنبوة والرسالة والإسلام والإيمان والصلاة والزكاة والصيام والحج والحلال والحرام إلى غير ذلك ، ومتى تطرقت الأوهام إلى القدح فيهم انخرمت عدالتهم وردت روايتهم وشهادتهم ، وصار هذا الدين الذي هو خير الأديان شر الأديان لكون حماله فسقة ، وكان القرآن مفترى ، وكان قوله فيهم (أولئك هم الصادقون) (والتائبون العابدون) ، (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) إلى غير ذلك زورا وبهتانا ، وكان الرسول متقولا على الله .

وقوله (أصحابي كالنجوم) ، و (خيركم قرني) ، و(يحمل هذا العلم) [١] إلى غير ذلك إفكا وباطلا ، وكان الخير كله والصدق والنزاهة مع أعداء الله القادحين فيهم الذين حدثوا بعدهم وأحدثوا بدعهم لا مع الله ورسوله وكتابه ، وصار جميع الأنبياء والمرسلين المبشرين برسالة محمد r كذبة ، والكتب المنزلة عليهم من عند الله مختلقة ، وصار جميع العلماء والأحبار والعارفين بالله الأخيار من أول الدهر إلى آخر الأعصار على باطل وضلال لاتفاقهم على تصديق الصحابة فيما نقلوه وعملهم بعلمهم الذي عنهم حملوه إلى ما لا يحصر من الكفر والضلال ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

وهذا في الحقيقة هو المقصود لهذه الفرقة الضال التي ظاهر مذهبها الرفض ، وباطنها الكفر المحض ، وإلا فكيف يخطر بقلب من يدعي الإيمان الإزراء بسادة المؤمنين ، وأركان الدين ، أو يتطرق إليه القدح فيهم أخذا بقول من اتخذ إله هواه وأضله الله على علم وختم

(١) هذه ثلاثة أحاديث الأول " أصحابي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم " وهو موضوع انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (٥٨) – والثاني حديث خيركم قرني ثم الذين يلونهم رواه البخاري ومسلم من حديث عمران — والثالث عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرفوعا " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين " . رواه البيهقي .

على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، وعدولا عن ثناء الله عليهم في مواضع عديدة في كتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) .

فأين قول القادح فيهم المنتقص لهم المزري بهم من قول الله تعالى ـ الذي يبدل القول لديه ، ولا يتصور أن ينعكس مدحه ذما ، ولا رضاه سخطا ـ (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)

فهذه الخيرات والفلاح والجنات المعدة لمن هي ؟

(لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا) الآيات .

(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ) .

وهذا الرضا الأبدي من المراد به ؟

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا) .

(إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) .

وهذه البيعة الرابحة من تولى عقدها ؟

(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) .

وهذه الأوصاف الجميلة من هو الموصوف بها ؟

(الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ) .

(فَأَنزلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) .

يا عجبا كيف تكون العصاة الفسقة بزعم الدعاة المرقة أحق بكلمة التقوى وأهلها ، هلا كانوا هم أحق بها وأهلها لزعمهم أنهم على الحق لا الصحابة وأتباعهم .

أغلط صدر من البارئ جل وعلا حتى أعطى القوس غير باريها ، أم سهو حصل ممن لا يضل ولا ينسى ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور حتى يقول فيهم ذلك مع علمه بما سيكون منهم من التبديل والتحريف ! كلا والله بل كان الله بكل شيء عليما ، وكانوا هم أحق بها وأهلها أزلا وأبدا ، وعلم الله لا يتبدل ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ثم كيف أطنب في مدحهم في كتابه وعلى لسان رسوله وهو يعلم ما يصدر منهم من التعاون على الظلم والعدوان ، وقول الزور والبهتان قبل أن يدفنوا نبيهم ويجهزوه أغش منه لرسوله المحبوب مع ما له عنده من المكانة ، أم عجزت قدرته النافذة عن أن يختار لرسوله من يصحبه بالصدق ويؤدي شرعه بالأمانة ، أم أنزل كتابه وأرسل رسوله للإضلال لا للإرشاد ! حتى مدح فيه من هو مذموم عنده من العباد . (١)

---

(١) طريقة الكتاب والسنة، وهي الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات؛ كما في قوله تعالى : { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }.

فاعتبروا يا أولي القلوب والأبصار ، (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ . إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

فصل

وما أورده الخصم من تعداد مناقب لسيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ففضل علي لا ينكر ، وعلو منصبه وجلالة قدره أشهر ، فوق ما ذكر بأضعاف كثيرة وأكثر ، ولكن للصديق أيضا من الفضل ما هو أكبر ، ونصيبه من عطاء الله أتم وأوفر (كـلا نُمِـدُّ هَـؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا. انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْـضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا) .

وكما أن الرسل فضل الله بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم درجات ، فكذلك أتباعهم وأتباع أتباعهم هم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون .

ثم إن كلامنا هذا إنما هو تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، وأما الخصم فإنه يلزمه على مذهبه الفاسد إبطال ما احتج به ، ورد ما أورده لأن هذه الأحاديث كلها وغيرها إنما رواها الصحابة الذين أبطل عدالتهم ، ورد شهادتهم ، ونقلها عنهم أتباعهم القائلون بمعتقدهم ، ورد شهادتهم على مذهبه أولى ، فكيف احتج برواياتهم فيما وافق رأيه وهواه ، وردها فيما هو أهم من ذلك من نقل أصل الدين وما سواه ، وأيها أعظم ؟ اعتقاد التفضيل ، أم اعتقاد هدم قواعد الشرع والتعطيل ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور .

جعلوا شغلهم الأهم مسألة التفضيل ، وصرفوا همهم إلى غير ما أمروا به من القال والقيل ، مع أنه مفروغ منه ، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

أولئك قوم قد لحقوا بالله ، وعرف كل منهم منزلته عند الله ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، إخوانا على سرر متقابلين ، والواجب على من بعدهم لهم ما يجب على الأولاد لآبائهم من البر والإحسان ، والاستغفار المأمور به بنص القرآن (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا) .

فإنهم آباء أهل الإسلام ، إذ هم الذين آووه ونصروه ، ثم مهدوه وقرروه ، ثم أدوه كما سمعوه ، فجزاهم الله عنا أفضل الجزاء ، وكلما ورد من الفضائل في حق علي وغيره فعنهم نقل ومنهم عرف ، وكيف ينسب المبتدع نفسه إلى أنه أتقى منهم وأقوم بدين الله ، وأطوع لله ، وأعلم بمراد الله ، وينسبهم إلى أنهم خالفوا رسول الله ، فيما سمعوا منه مشافهة ، وخالفوا [١] الله ورسوله في تقديم مفضول على فاضل ، والتمادي على الباطل ، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى .

ثم لم يزل العلماء والأولياء والفقهاء والقراء وغيرهم يتناقلون هذه الأخبار وغيرها مما هو مشهور على مر الأعصار ، ويودعونها في تصانيفهم ، ويتقربون إلى الله بذكرهم في تواليفهم [٢] ، ولم يصل الموافق والمخالف إلى عملها إلا بواسطتهم ، وهم معتقدون لما عليه الصحابة من ترتيب الخلفاء في التقديم ، وتوفية كل منهم ومن سائر الصحابة ما هو له من الإجلال والتكريم .

---

(١) النسخة (ب) خانوا .

(٢) النسخة (ب) تآليفهم وهو الأفصح والمشهور من جمع تأليف .

فلو علموا أن تلك الأحاديث مصادمة لما فعلوه ، ومضادة لما اعتقدوه ، لكـان كتمهـا وتبديلها بعكسها أهون إثما مما ارتكبوه من مخالفتها كفاحا ، والتمادي في الباطل إلى الموت ، وسن سنة قبيحة منسوبة إلى الله ورسوله كذبا يعمل بها من بعدهم إلى يوم القيامة .

فأي مصيبة أعظم في دين الله من هذا الاعتقاد ، وأي فساد في الدنيا والآخرة أشنع من هذا الفساد (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُـولَ فَاكْتُبْنَـا مَـعَ الشَّاهِدِينَ) .

اللهم إنا كما نشهد لك بالوحدانية ولنبيك بالتبليغ فإنا نشهد لهـم بالصـدق فـيما إلينـا عنك أوصلوه ، وعن نبيك نقلوه ، وبأداء الأمانة فيما من أمر دينك تحملوه ، ولا نتخـذهم أربابا ، ولا نجعل بعضهم على بعض أحزابا ، بل هم عبيد لـك مربوبـون ، سـامعون لـك مجيبون ، دعاهم نبيك فتابعوه ، وعلى نصر دينك بايعوه ، فصدقوا كما سميتهم الصادقين ، وما بدلوا تبديلا .

* * * *

فصل

في ذكر طرف من ثناء الرسول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وثناء أهل البيت الطيبين الطاهرين على السادة الأتقياء والبررة الأصفياء ، وحثه أمته على حبهم ، والتحذير عن سبهم ، وأمره باتباعهم ، والاقتداء بهم ، والكف عما شجر بينهم .

فمن ذلك قوله r (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) رواه البخاري ومسلم .[(١)]

و(لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) أخرجه البخاري ومسلم .[(٢)]

وقوله (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن أذاني فقد آذى الله فيوشك أن يأخذه) أخرجه البخاري .[(٣)]

(إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم) أخرجه الترمذي .[(٤)]

---

(١) متفق عليه من حديث عمران بن الحصين .

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري .

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ عن عبد الله بن مغفل ، وكان يجب على المؤلف أن ينص على ذلك لئلا يتوهم القارئ أنه في الصحيح ، فإن كتابه التاريخ لم يلتزم فيه بالصحيح ، والحديث من طريق عبد الرحمن بن زياد ؛ فإنه لا يعرف إلا بهذه الرواية من طريق ابن أبي رائطة عنه . ولذلك قال الذهبي في " الميزان " " لا يعرف ، قال البخاري : فيه نظر "

والحديث أخرجه الترمذي وابن حبان وأحمد قال الألباني ضعيف انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم (٢٩٠١) .

(٤) رواه الترمذي عن ابن عمر ، وقال الألباني ضعيف جدا انظر ضعيف الجامع (٥١٣) .

(سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي فأوحى إلي يا محمد : إن أصحابك عندي كالنجوم في السماء بعضهم أقوى من بعض ، ولكل نوره فمن أخذ بشيء مما هم عليه فهو عندي على هدى) أخرجه رزين في جامعه .[1]

(إن الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل لي منهم وزراء وأنصارا وأصهارا ، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا) أورده المحب الطبري في الرياض النضرة .[2]

ومن ذلك قوله r (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم) أخرجه البخاري ومسلم .[3]

(لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة) أخرجه الترمذي وصححه .[4]

وشهد r للعشرة بالجنة أب بكر وعمر وعثمان وعلي وطلح والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة ابن الجراح أخرجه الترمذي وأبو داود .[5]

---

(١) رواه رزين من حدي عمر بن الخطاب بلفظ (بمنزلة النجوم) قال ابن الجوزي هذا لا يصح فيه كذاب وقال في الميزان هذا باطل وسئل عنه البزار قال لا يصح .

(٢) ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة في فضل أهل بدر ١ / ٦ ، والحديث ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط عن عويم بن ساعدة ، عن أبيه ، عن جده مرفوعا فذكره وقال ((لا يروي هذا الحديث عن عويم بن ساعدة إلا بهذا الإسناد تفرد به محمد بن طلحة) وقد صرح الحافظ في (التقريب) بأنه مجهول .

(٣) رواه البخاري مسلم في قصة حاطب بن أبي بلتعة .

(٤) رواه الترمذي من حديث جابر .

(٥) رواه الترمذي (٣٧٥٧) وأبو داود (٤٩٤٦) من حديث سعيد بن زيد .

ودخل حائطا للأنصار فاستأذن عليه أبو بكر فقال افتح له وبشره بالجنة ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك وقال فيه بشره بالجنة على بلوى تصيبه أخرجه البخاري ومسلم .[1]

وكان على حراء ومعه أبو بكر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فتحرك بهم الجبل فركضه النبي r برجله وقال : (اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد) أخرجه مسلم والترمذي .[2]

وأخرجه البخاري وأبو داود فذكرا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فقط .[3]

وسمع سعيد بن زيد أحد العشرة رجلا يسب رجلا من الصحابة فغضب وقال : (والله لمشهد رجلا منهم مع رسول الله r خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح) أخرجه الترمذي وأبو داود .[4]

زاد رزين لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله أن لا يقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة فالشقي من أبغضهم والسعيد من أحبهم .

ومن ذلك سئل r أي الناس أحب إليك فقال عائشة قيل من الرجال ؟ قال أبوها قيل ثم من قال عمر بن الخطاب أخرجه البخاري ومسلم[5]

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧١) ومسلم (٦٣٦٥) عن أبي موسى الأشعري .

(٢) رواه مسلم (٦٤٠٠) والترمذي (٣٦٣٩) من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه البخاري (٣٤٨٣) وأبو داود (٤٦٥٣) من حديث أنس بن مالك ولكن بلفظ اثبت أحد بدلا من حراء .

(٤) رواه أبو داود (٤٦٥٠) و لم أجده عند الترمذي .

(٥) رواه البخاري (٣٤٦٢) ومسلم (٦٣٢٨) عن عمرو بن العاص .

وقال لأبي بكر : (أبشر فإنك عتيق الله مـن النـار فسـمي مـن يومئـذ عتيقـا) أخرجـه الترمذي. [١]

وقال : (أما أنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمـتي) أخرجـه أبو داود [٢]

وقال : (ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضـل مـن أبي بكر) وفي رواية (أبو بكر وعمر خير الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين) وفي أخرى (أبو بكر وعمر في أمتي كالشمس والقمر في النجوم) وأوردها المحب الطبري . [٣]

وأوذي أبو بكر فغضب r لذلك غضبا شديدا وقال : (هل أنتم تاركون لي أصـحابي كررها ثلاثا إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي) أخرجه البخاري . [٤]

وقال : (إن من أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر) أخرجه البخـاري ومسـلم وأحمد والترمذي . [٥]

وقال : (ما لأحد عندنا يدا إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئـه الله بها يوم القيامة) أخرجه الترمذي . [٦]

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٩) عن عائشة بلفظ (أنت عتيق الله ...) وصححه الألباني في المشكاة .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٥٢) عن أبي هرير وضعفه الألباني في المشكاة .

(٣) الأول حديث أبي الدرداء أخرجه عبد بن حميد والخطيب وغيرهما ، والثاني عن أبي هريرة بلفـظ (وخـير أهـل السموات و خير أهل الأرض إلا النبيين و المرسلين) قال الألباني : (موضوع) انظر ضعيف الجامع(٥٨) ، والثالـث لم أجده .

(٤) رواه البخاري عن أبي الدرداء (٤٣٦٤) .

(٥) حديث أبي سعيد رواه البخاري (٣٤٥٤) وأحمد (١١١٣٤) والترمذي (٣٦٦٠) وعزوه إلى مسلم لعله سبق قلم .

(٦) رواه الترمذي عن أبي هريرة (٣٦٦١) وصححه الألباني .

وفي تصديق ذلك نزل قوله تعالى (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى .الَّذِي يُـؤْتِي مَالَـهُ يَتَزَكَّـى . وَمَـا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى) [١] فوعـده الله تعالى بالرضا مكافأة عن نبيه r ، وحكم له بأنه أتقى الأمة بعد حكمه بـأن أكـرمكم عنـد الله أتقاكم .

فصار حكما منه بأن أبا بكر أكرم الأمة على الله وأفضلها ، ومن هنا قال فيـه r : (لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره) أخرجه الترمذي . [٢]

ولما ثقل النبي r قال مروا أبا بكر فليصل بالناس وكان غائبا ، فقدم القوم عمر ، فلـما سمع صوت عمر تغيرت حالته ، وأطلع رأسه من الحجرة مغضبا وهو يقول يأبى الله ذلك والمسلمون يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلـك والمسـلمون ليصـل بالنـاس ابـن أبي قحافة ثم بعث إليه فجاء وصلى بالناس مدة مرضه r .

ولما قال مروا أبا بكر فليصل بالناس راجعتـه عائشـة ثـم حفصـة إن أبـا بكـر إذا قـام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصـل بالنـاس فغضـب وقـال إنكـن لأنـتن صواحب يوسف أخرجه البخاري ومسلم . [٣]

ووجد خفة في مرضه فخرج وأبو بكر يصلي بالناس فلما رآه أبو بكر استأخر فأومأ إليه أن مكانك إكراما له فلم يستطع ذلك أبو بكر إجلالا لمنصب الرسالة فعاتبه النبي r بعـد ذلك أخرجه البخاري ومسلم . [٤]

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره : وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك .

(٢) رواه الترمذي (٣٦٧٣) عن عائشة قال الألباني بأنه ضعيف جدا كما في السلسلة الضعيفة(٤٨٢٠)

(٣) رواه البخاري (٦٧٦٧) ومسلم (٩٧٦) .

(٤) رواه البخاري (٣٦٦) .

زاد الترمذي وقال : ألست أحق بها ؟ ألست أول من أسلم ألست صاحب كذا ألست صاحب كذا .[1]

فلو قدم المسلمون غيره بعد موت النبي r يؤمهم فهل وافقوا نبيهم أو خالفوه ؟ وإذا ارتضاه الرسول لأمر دينهم فما بقي من أمر الخلافة ؟

أيحسن أن يكون خليفة غيره ؟ لا يحسن له أن يتقدم بين يدي آحاد رعيته في أعظم شعائر الدين من الصلوات الخمس والجماعات والأعياد ، فإن كانت الخلافة جباية الأموال وما هو دون ذلك فبئس بها .

وأي شيء استفاده الصديق من عقد البيعة سوى أن ولاه المسلمون جباية الزكاة وصرفها في مصارفها ، وهل كسب الصديق بولايته كنوز الأموال أو تنعم بالملابس الفاخرة ، أو اتخذ العبيد والخول ، أو شيد القصور وزخرفها ، وإذا لم يكن شيء من ذلك فأي شيء عمله على الظلم والعدوان ، وخسران الآخرة والأولى بزعم أعداء الله تعالى ، (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وقد كان فضله في حياة رسول الله r مشهورا بين الصحابة يعلمه الخاص والعام ، ولا يداخل أحد منهم شك ولا ريب في أنه أقدم الخليقة منزلة عنده ، ولله در حسان حيث يقول مخاطبا للنبي r ، ويمدح أبا بكر بعد أن استدعى منه النبي r ذلك فقال :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود سيرته ... وأول الناس طرا صدق الرسلا

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٦٧) .

وكان حب رسول الله قد علموا　　　من البرية لم يعــدل به رجلا

وعن ابن عمر رضي الله عنهما (كنا في زمن رسول الله r لم نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب رسول الله r لا نفاضل بينهم) أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود .(١)

(كنا نقول ورسول الله r حي أفضل أمة النبي r بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان).(٢)

ولما قال الأنصار : (منا أمير ومنكم أمير) قال لهم عمر : أيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر في الصلاة ؟ فقالوا بأجمعهم : (نعوذ بالله من ذلك) أخرجه النسائي .(٣)

فعند ذلك بادروا ببيعته ، وقالوا رضيه رسول الله r لديننا أفلا نرضاه لدنيانا .

ومن ذلك عن علي رضي الله عنه أنه قال يوم الجمل : إن رسول الله r لم يعهد إلينا عهدا نأخذ به في إمارة ولكنه شيء رأيناه من أنفسنا فاستخلفنا أبا بكر ورحمة الله على أبي بكر فأقام واستقام ، ثم استخلف عمر ورحمة الله على عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه .أخرجه أحمد وفي رواية ثم حطمتنا فتنة يعفو الله منها عمن يشاء.(٤)

وعن محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال قلت لأبي أي الناس أفضل بعد رسول الله r ؟ فقال : (أبو بكر قلت ثم من ؟ قال عمر قلت وخشيت أن

---

(١) رواه البخاري (٣٩٤٩) ــ أبو داود (٤٦٢٩) . والترمذي (٣٧٠٣) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٢٨) ، وفي النسخة (ب) وروى النسائي .. وهو خطأ إذ لم يروه النسائي .

(٣) رواه النسائي (٧٧٧) وقال الألباني صحيح الإسناد .

(٤) رواه أحمد (٩٢١) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف .

يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت فقال : ما أنا إلا رجل مسلم) أخرجه البخاري وأحمد وأبو حاتم .[١]

وعن كثير بن عبد الله قال : قال رجل لعلي رضي الله عنه يا خير الناس فقال له : أرأيت رسول الله r ؟ قال : لا قال فهل رأيت أبا بكر ؟ قال : لا قال فهل رأيت عمر ؟ قال لا ، قال لو قلت : رأيت رسول الله r لضربت عنقك ، ولو قلت : رأيت أبا بكر أو عمر لجلدتك أخرجه الإمام أحمد .[٢]

وعن علي كرم الله وجهه قال : كنت مع رسول الله r إذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال رسول الله r : (هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين ولآخرين إلا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وأبو حاتم وزاد سيدا كهول أهل الجن وشبابها وفي رواية قال علي : ما حدثت حتى ماتا .[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إني لواقف في قوم يدعون لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ويترحمون عليه وقد وضع على سريره إذ رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي فالتفت فإذا هو علي رضي الله عنه وترحم على عمر ثم قال : رحمك الله إني كنت لأرجو أن أن يجعلك الله مع صاحبيك لأني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله r يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، فعلت وأبو بكر وعمر ، انطلقت وأبو بكر وعمر ، وما خلفت أحدا أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك أخرجه البخاري .[٤]

---

(١) رواه البخاري (٣٤٦٨) وأحمد (٤٣٠) .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ في المسند .

(٣) رواه أحمد (٦٠٢) والترمذي (٣٦٦٤) .

(٤) رواه البخاري (٣٤٨٢) .

ومما أورده المحب الطبري عن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله r بعيني هاتين وإلا فعميتا وسمعته بأذني هاتين وإلا فصمتا وهو يقول ما ولد في الإسلام مولد أزكى ولا أطهر من أبي بكر ثم عمر .[١]

وعنه في قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) قال هم رسول الله وأبو بكر وعمر .

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : نظر النبي r إلى أبي بكر وعمر فقال : والله إني لأحبكما ومن أحببته أحبه الله ، والله تعالى أشد حبا لكما مني ، وإن الملائكة لتحبكما بحب الله لكما فأحب الله من أحبكما ، وأبغض من أبغضكما ، ووصل من وصلكما ، وقطع من قطعكما ، وأسعد من أسعدكما في حياتكما وبعد مماتكما ، فقال علي : لقد ازددت لهما حبا يا رسول الله ، فقال رسول الله r أجل حبهما فإن حبهما إيمان وبغضهما نفاق .[٢]

وفي رواية يا علي : ألا أدلك على عمل إذا عملته كنت من أهل الجنة ، وأنت من أهل الجنة ؟ إنه سيكون بعدي أقوام يقال لهم الرافضة يرفضون الإسلام ، ويزعمون مودة أهل بيتي ، يسبون أبا بكر وعمر ، فإذا أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم مشركون .[٣]

وعن فاطمة بنت رسول الله r رضي الله عنه قالت نظر رسول الله r إلى علي فقال هذا في الجنة وإن من شيعته قوما يسمون الرافضة يرفضون الإسلام من لقيهم فليقتلهم فإنهم

---

(١) رواه الديلمي وابن عساكر انظر كتر العمال .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ .

(٣) رواه الطبراني وأبو يعلى بلفظ (يا علي سيكون في أمتي قوم ينتحلون حب أهل البيت لهم نبز يسمون الرافضة قاتلوهم فإنهم مشركون) قال الهيثمي : وقال وإسناده حسن .

مشركون ، وأخرجه الإمام أحمد أيضا .[١]

وفي رواية إن ممن يزعم إنه يحبك أقواما يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يقال لهم الرافضة فإن أنت أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون كررها ثلاثا قال يا رسول وما علامتهم قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة أي لأهل السنة ويطعنون في السلف الأول.[٢]

وعن ابن عباس وقد سئل عن أبي بكر فقال : كان رحمه الله للقرآن تالياً ، وللشر قالياً ، وعن الفحشاء لاهياً ، وبالله عارفاً ، ومن الله خائفاً ، فاق الصحابة ورعاً وزهادة وبراً وأمانة ، فعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم القيامة .

وأما عمر فرحم الله أبا حفص فكان ـ والله ـ كهف الإسلام ، ومأوى الأيتام ، وللحق حصنا حصينا ، وللإيمان وأهله عونا معينا ، قائما بأمر الله ، صابراً محتسباً لله ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، وقورا في الرخاء والشدة ، شكورا لله على كل حال ، فأعقب الله من يبغضه اللعنة والندامة إلى يوم القيامة .

---

(١) في المسند (٨٠٨) عن علي بلفظ (يظهر في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف جدا لضعف يحيى بن المتوكل وكثير النواء .

(٢) أخرجه الطبراني في " الأوسط " قال الهيثمي وفيه الفضل بن غانم وهو ضعيف ، وقال الألباني الحديث موضوع .

وقد ذكر العلامة ابن الوزير أحاديث كفر الروافض فقال : (وقد رويت من طرق كثيرة على غرابتها ، وخلو دواوين الإسلام الستة منها ، فرويت عن علي عليه السلام وفاطمة والحسن عليهما السلام وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهما ، وروى الامام الهادي عليه السلام منها حديث الحسن عليه السلام في كتاب الأحكام في كتاب الطلاق ٢منه في باب من طلق ثلاثا ، وقد ذكر الإمامية فقال ما لفظه :

(وفيهم ما حدثني أبي وعمي محمد والحسن عن أبيهم القاسم عن أبيه عن جده عن إبراهيم بن الحسن عن أبيه عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعليهم السلام عن النبي وآله أنه قال يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله تعالى فإنهم مشركون) اهـ بحروفه .

أما عثمان فرحم الله أبا عمرو كان ـ والله ـ أفضل البررة ، وأكرم الحفدة ، مجهز جيش العسرة ، كثير الاستغفار ، هجاداً بالأسحار سريع الدموع عند ذكر النار ، دائم الفكر فيما يعنيه بالليل والنهار ، مبادراً إلى كل مكرمة ، فاراً من كل مهلكة ، ولقد عاش سعيداً ، ومات شهيداً فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم القيامة .

وأما علي فرحم الله تعالى أبا الحسن كان ـ والله ـ علم الهدى ، وكهف التقى ، وطود النهى ، وعين الندى ، ونوراً مسفرا في الدجى ، وداعياً إلى المحجة العظمى ، ومستمسكاً بالعروة الوثقى ، أبو السبطين وزوج خير النساء ، فعلى من يبغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد .(١)

وسئل عنهم أيضا جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ابن علي المرتضى أمير المؤمنين رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقال : أما أبو بكر فوق مليء قلبه بمشاهدة الربوبية ، وكان لا يشهد مع الله غيره ، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه لا إله إلا الله ، وأما عمر كان يرى كل ما دون الله صغيراً حقيراً في جنب عظمة الله ، وكان لا يرى التعظيم لغير الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه الله أكبر ، وأما عثمان كان يرى ما دون الله معلولاً إذا كان مرجعه إلى الفناء ، وكان لا يرى التنزيه لغير الله تعالى ، فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه سبحان الله ، وأما علي بن فكان يرى ظهور الكون من الله ، وقيام الكون بالله ، ورجوع الكون إلى الله فمن أجل ذلك كان أكثر كلامه الحمد لله .(٢)

---

(١) الرياض النضرة باب ذكر ثناء ابن عباس على الخلفاء لأربعة ١ / ٢٢ وفيه زيادة بعض العبائر .

(٢) الرياض النضرة باب ذكر ثناء جعفر الصادق على الخلفاء الأربعة ١ / ٢٣ قلت : واستخدام مصطلحات الصوفية في كلامه عجيب ، وأعجب منه وصف الخلفاء الراشدين بها !

وطعن قوم في أبي بكر وعمر عند زين العابدين ابن علي بن الحسين بـن عـلي رضي الله عنهم فقال لهم بعد أن أغلظ لهم القول : ألا تخـبروني هـل أنـتم مـن السـابقين الأولـين أو الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ؟ قالوا : لا ، قال : فهـل أنـتم مـن الذين تبوءا الدار والإيمان الآية ؟ قالوا : لا ، قال : فأنا أشهد أيضا أنكم لستم مـن الـذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان .

وسئل الباقر محمد بن علي عن أبي بكر وعمر فقال : إماما عدل لا نالتني شفاعة جدي محمد عن لم أتولاهما وأتبرأ من عدوهما.

وفي رواية قيل له : ما ترى في أبي بكر وعمر ؟ فقال : إني أتولاهمـا وأسـتغفر لهـما ومـا رأيت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما، ومن جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السنة .

وفي أخرى أنه قال لجابر الجعفي : يا جابر أخبر أهل الكوفة عني أني بـريء ممـن تـبرأ من أبي بكر وعمر ، وفي أخرى يا جابر بلغنـي أن أقوامـاً بـالعراق يزعمـون أنهـم يحبوننـا ويتناولون أبا بكر وعمر وعثمان ، ويزعمون أنهم في أمرتهم بذلك فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء والذي نفس محمد بيده لو قدرت عليهم لتقربت على الله بدمائهم . (١)

وعن زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم قـال الـبراءة مـن أبي بكـر وعمـر براءة من علي ، فمن شاء فليتقدم ومن شاء فليتأخر، قـال ذلـك للـرهط الـذين اجتمعـوا ليقاتلوا معه ، قالوا لا نخرج معك إلا أن تتبرأ من أبي بكر وعمر .

وقال : من سب أبا بكر وعمر فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . (٢)

---

(١) المصدر السابق ١ / ٢٧ .

(٢) المصدر السابق ١ / ٢٧ .

وقال جعفر الصادق في مرض موته : اللهم إني أحب أبا بكر وعمر ، فإن كـان في نفسي غير ذلك فلا تنلني شفاعة محمد .

وسئل عنهما موسى الرضا فقال : أبو بكر جدي ، وعمر ختني ، أفتراني أبغض جـدي وختني !

وقال عبد الله بن الحسن بن علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب لرجل من الرافضة : ورب هذه البنية يعني الكعبة إن ما تزعمون من أمر الإمامـة لباطـل ، ووالله إن قتلك لقربة لولا حق الجوار ، أساء بنا آباؤنا إن كان ما تقولون من دين الله ثم لم يخبرونا بـه ، ولم يطلعونا عليه ، ولم يرغبونا فيه ونحن كنا أقرب مـنهم قرابـة مـنكم وأوجـب علـيهم وأحق أن يرغبونا فيه منكم .

وقال رجل لعلي : سمعتك يا أمير المؤمنين تتولى على المنبر الله أصلحني بـما أصـلحت به الخلفاء الراشدين المهديين فمن هم يا أمير المؤمنين ؟ فاغرورقت عيناه بالدموع ثم قال : أبو بكر وعمر إماما الهدى وشيخا الإسلام ورجلا قريش والمقتدى بهما بعد رسـول الله r ، من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارهما هدي إلى صراط مستقيم ، ومن تمسك بهـما فهـو من حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون .

وعن علقمة رحمه الله قال : سمعت عليا رضي الله عنه وهو على المنبر يقول : بلغني أن أناسا يفضلونني على أبي بكر وعمر ، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ، ولكني أكـره العقوبة قبل التقدم ، فمن أتيت به بعد هذا وقد قال شيئا من هذا فهو مفتر ، وعليه ما عـلى المفتري ، ألا إن خير الناس بعد رسول الله r أبو بكر ثم عمر ، ثم الله أعلم بالخير .

وفي رواية أتي علي رضي الله عنه وهو بالكوفة برجل ينتقص أبا بكر وعمر فأمر بضرب عنقه قال يا أمير المؤمنين لم تضرب عنقي وإنما غضبت لك ؟ قال : وما ذاك ويلك ؟ قال : إني غريب ما صحبت رسول الله r ، ولا علمت منزلة هذين الرجلين منه ومنك ، وإنما سمعت بعض من يغشاك يفضلك عليهما ، ويزعم أنهما ظلماك حقك وتقدماك في أمرك .

فقال علي : أو تعرف القوم ؟ قال : لا إلا بأعيانهم عند نظري إليهم . فقال : والله ما ظلماني ولا تقدماني ولولا أنك قلت بغربتك وقلة معرفتك لضربت عنقك ، ثم خطب خطبة طويلة وقال في آخرها واعلموا أن خير الناس بعد نبيهم r أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم أنا وقد رميت بها في رقابكم ووراء ظهوركم فلا حجة لكم علي عند الله .

وفي رواية أتي علي برجل يقال له أبا السوداء كان ينتقص أبا بكر وعمر فدعاه ودعا بالسيف وهم بقتله ثم قال لا تساكني في بلدة فسيره إلى المدائن .

وفي أخرى أتي بعبد الله بن سبأ وكان يفضل عليا على أبي بكر وعمر فقال : اقتلوه فقال ابن سبأ أتقتل رجلا يدعو إلى حبك وحب أهل البيت فخلاه ، وقال من قدر عليه بعد ثلاثة أيام فليقتله ، وسيره إلى المدائن ثم خطب الناس .

وعن سويداء بن غفلة رضي الله عنه قال : دخلت على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقلت : يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يتناولون أبا بكر وعمر فلولا أنهم يرون أنك تضمر لهما على وفق ما أعلنوا به ما اجترأوا على ذلك ، فقال : أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه ، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، أخوا رسول الله r وصاحباه ووزيراه رحمة الله عليهما ثم نهض دامع العين يبكي حتى دخل

المسجد فصعد المنبر فجلس متكئا قابضا لحيته ينتظر اجتماع الناس إليه فلـما اجتمعـوا قـام فتشهد بخطبة موجزة بليغة ثم قال :

(ما بال قوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين بما أنا عنـه متنـزه ، وعـما قـالوه برئ ، وعلى ما يقولونه معاقب ، والذي فلق الحبـة وبـرأ النسـمة لا يحـبهما إلا مـؤمن ولا يبغضهما إلا فاجر ، صاحبا رسول r ، ووزيراه صحبا رسول الله r على الصدق والوفـاء يأمران وينهيان ويقضيان ويعاقبان فـما يجـاوزان فـيما يقضـيان رأي رسـول الله r ،وكـان رسول الله r لا يرى كرأيهما ، ولا يحب كحبهما أحـدا ، مضى رسـول الله r وهـو عـنهما راض ، ومضيا والمسلمون عنهما راضون .

أمر رسول الله r أبا بكر على صلاة المسلمين ، وصلى بهم أبو بكر سبعة أيام في حيـاة رسول الله r فلما قبض الله عز وجل نبيه واختار له ما عنده ولاه المسـلمون ذلـك أيضـا ، وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان ، ثم أعطوا البيعة طائعين غير مكرهين ، وأنا أول مـن سن له ذلك من بني عبد المطلب ، ووالله إنه لذلك كاره ، يـود لـو أن أحـدا كفـاه ذلـك ، وكان والله خير من بقي أرحمه رحمة وأرأفه رأفـة وأثبتـه ورعـا ، وأقدمـه إسـلاما ، شـبهه رسول الله r بميكائيل رأفة ورحمة ، وإبراهيم حلما ووقارا ، سار فينا سيرة رسـول الله r حتى قبضه الله عز وجل .

واستخلف بعده عمر بعد أن استأمر أبـو بكـر المسـلمين في ذلـك فمـنهم مـن رضي ومنهم من كره ، وكنت أنا ممن رضي فلم يفارق عمر الدنيا حتى رضي به من كان كارهـا ، فأقام الأمر على منهاج رسول الله r ومنهاج صاحبه يتبع أثرهما ، ويعمل بعملهـما كاتبـاع الفصيل أمه ، وكان والله رحيما للضعفاء والمساكين ، وعونا للمظلـومين عـلى الظـالمين ، لا

تأخذه في الله لومة لائم ، قد ضرب بالحق على لسانه ، وجعل الصدق من شأنه ، حتى كنا نظن أن ملكا ينطق على لسانه ، أعز الله بإسلامه الإسلام ، وجعل هجرته للدين قواما ، وألقى الله عز وجل له في قلوب المؤمنين المحبة ، وفي قلوب المنافقين الرهبة ، شبهه رسول الله بجبريل ، فظا غليظا على الأعداء ، وبنوح عليه السلام حتفا مغتاظا على الكفار ، فمن الذي كان لكما مثلهما رحمة الله عليهما ، ورزقنا الله المضي على سبيلهما ، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع أثرهما ، والحب لهما ، فمن أحبني فليحبهما ، ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا بريء منه ، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة إلا إنه لا ينبغي لي أن أعاقب قبل التقدمة ، ألا فمن أتيت به يقول هذا جلدته جلد المفتري ، ألا وخير هذه الأمة أبو بكر ابن أبي قحافة ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم الله أعلم بالخير ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولإخواننا ثم نزل ، وأخرجها كلها المحب الطبري وعزاها إلى مخرجيها حفاظ الإسلام).(١)

وما أوردناه فقطرة من بحر ثناء الله تعالى ورسوله وأصحابه وآله الطيبين الطاهرين على الصحابة كلهم ، وإنزالهم منازلهم ، وإلزام الخلق كافة محبتهم لحب الله ورسوله لهم ، وهذه نصوص السادة أهل البيت النبوي علي وابن عباس وفاطمة وبني علي الحسن والحسين وابن الحنفية وزين العابدين ومحمد وجعفر وسائر السادة الذين اتبعوا آثارهم واقتفوا منارهم شاهدة لهم بمحبتهم ، ناطقة بموالاتهم ونصرتهم ، وإنهم وأبو بكر وعمر وعثمان بل وسائر الصحابة حزب واحد ، وفريق متحد ، متناصرون على الحق ، متظاهرون على الهدى ، ولا ينكر ذلك إلا جاهل مارد ، ومتجاهل معاند .

---

(١) المصدر السابق بتصرف .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف اختار هؤلاء المارقون عن الدين مروق السهم عن الرمية ما جنحوا إليه من البدعة المهلكة الردية ، ثم يزعمون أنهم القائمون بنصرة العترة الفاطمية ، والموالون لأهل العصبة النبوية ، فإن كان موالاتهم ونصرتهم لغير من ذكرناه من علي وأتباعه الهداة المهتدين فقد اعترفوا بالضلال، ونحن براء مما زعموه ، وإن زعموا أنه حدث من أهل البيت بعدما ذكرنا من هو أهدى منهم وأعلم فقد كابروا الحس وقيل لهم هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ، وإن وافقونا على أن من ذكرنا هم سادة أهل البيت فليشهد الله وملائكته وجميع خلقه بأنا من أتباع أولئك نعادي من يعادون ، ونوالي من يوالون ، وأما الخصم فبيننا وبينهم كتاب الله وسنة رسوله وأهل البيت المذكورون ، فما حكموا به على الصحابة من مدح أو ذم اتبعناه ، ونحن ـ والله ـ أولى منهم بموالاة السادة الكرام أهل البيت لاقتفائنا آثارهم ، (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) .

* * * *

فصل

اعلم أن من حسن الأدب معهم رضي الله عنهم أن نتلقى ما ورد من فضائلهم ومناقبهم بالقبول ليقع في القلوب موقع التعظيم ، ولا نشتغل بمقابلة هذه الفضيلة بهذه الفضيلة تفضيلا لأنه ربما خيف من الإزراء بالمفضول ، هذا مع اعتقاد ما أجمع عليه السلف ، وهذا كما نهي عن المجادلة في تفضيل الرسل بعضهم على بعض مع تصريح القرآن بذلك ، وتصريح الرسول بأنه سيد ولد آدم مع قوله (لا تفضلوني على يونس بن متى) . (١)

فكان اللائق بنا أن لا نشتغل بالجواب عما أورده الخصم ، ولكن عند الضرورات تباح المحظورات ، فنقول : قد علمت مما سبق أن حجته داحضة من وجوه كثيرة :

أحدها : إنه يزعم فسق الرواة فيعترف ببطلان شبهته على معتقده الفاسد ، فقد ألزم نفسه بطلان شبهته ، وكفى بنفسه عليه شهيدا ، فلا نشتغل بجوابه حتى يوافقنا على معتقدنا .

الثاني : إذا اعترف زدناه فقلنا : كل هذه الأدلة الواردة في فضل سيدنا أمير المؤمنين علي معارضة بأدلة أقوى منها ـ وأقوى من ذلك كله الإجماع ـ على أفضلية أبي بكر وتقديمه وصحة إمامته حتى من علي وسائر أهل البيت رضي الله عنهم ، وهذه النقول الصادقة المعتمدة بيننا وبينكم محكمة ، ولا نعطي كل أحد بدعواه ، وكل دعوة لا يؤيدها بينة شرعية مردودة .

(١) لا أصل له بهذا اللفظ ، ورواه البخاري ومسلم بلفظ (لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه خير من يونس بن متى).

الثالث : عن اعتقادنا أفضلية الصديق ، وصحة إمامته موجب لتقرير الشريعة وموجب لفضيلة علي وإثبات فضائل أهل البيت وغير ذلك مع اعتقاد صدق الناقلين لذلك ، واعتقادهم أفضلية علي موجب لبطلان إمامة الصديق وفسق الرواة فيوجب ذلك رد فضائل علي أيضا وغيره ، فلو لم يرد نص في أفضلية الصديق ولا إجماع لوجب قطعا اتباع معتقدنا ، فكيف والأمر بالعكس ، فما أشبههم بإخوانهم الزاعمين اتباع موسى والإيمان بالتوراة ويكفرون بمحمد والقرآن المصدق لموسى والتوراة ، مع أن شريعة موسى والتوراة موجبة التصديق بمحمد والقرآن فكفروا بموسى والتوراة من حيث لا يشعرون ، (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) .

الرابع : ما يترتب على معتقدهم من الإزراء بأمير المؤمنين علي وسبه أعظم السب وحاشاه من ذلك لأنهم يزعمون أنه يعلم أنه وصي رسول الله r وولي عهده ، فكيف نبذ وصية رسول الله r وراء ظهره ، وضيع عهد الله وخذل دين الله ، بل وعلى ما أجمع السلف أنه لا نص في الخلافة ؟

فيزعمون أنه يعلم أنه أفضل الأمة وأن الخلافة متعينة عليه فقد نسبوه على كل تقدير إلى ما لا يجوز لمسلم أن ينسبه إلى أفسق الولاة الظلمة من تضييع حقوق الله ورسوله وحقوق دينه ، وحقوق العباد ، وتركها بأيدي من يزعمون أنهم فسقة ظلمة متعاونون على الإثم والعدوان ، هذا وهو البطل المقدام ، الذي لا يماثله الشجعان فكيف رهب من الموت ، وآثر الحياة الدنيا ، وهو ابن عم رسول الله r ، وزوج الزهراء وأبو السبطين ، أما وجد قط في بني هاشم ثم قبائل قريش ثم في سائر الأمة من يقوم بنصره ويعينه على أمره ،

ويبذل روحه لله ولرسوله ! فكيف قدر بعد ذلك على قتال معاوية وأتباعه لما رأى الإمامة متعينة عليه ، أين يذهب هؤلاء الضلال ؟(وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) .

الخامس : القرائن الشاهدة بوجوب تقديم الصديق أصرح وأظهر مما استدلوا به على وجوب تقديم علي :

فمنها : الإجماع على أنه r استخلف أبا بكر في الصلاة ولم يعزله فيبقى بالاتفاق إماما للمسلمين في الصلاة بالنص المجمع عليه فيكون إمامهم في غيرها من طريق الأولى ، إذ لا قائل بأن شيئا من أركان الإسلام أعظم منها ، ولأنه يلزم منه لو عزلوه عن الصلاة مخالفة النص الصريح ، وإن اتبعوه فيها واستخلفوا غيره فيما سواها نقصان شأن ذلك الخليفة وانخرام أمر خلافته ، والقطع بأن ما بقي عليه الصديق من الصلاة أعظم شأنا مما استفاده الخليفة الآخر وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

وقد نبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بقوله السابق : استخلفه رسول الله r على صلاة المسلمين ، وولاه المسلمون ذلك بعده ، وفوضوا إليه أمر الزكاة لأنهما مقترنان .

ومنها : من الآيات قوله تعالى (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا) تدل بالنص الصريح على أنه لا أن يكون في هذه الأمة التي هي خير الأمم من المؤمنين المخاطبين بالآية خلفاء حق حتى يخلفون رسوله ، كما خلف الرسل قبلهم خلفاء حق يمكن لهم دينهم الذي أكمله لهم وارتضاه في حياة نبيهم ، ويبدلهم من بعد خوفهم في ابتداء الإسلام أمنا فهذا منطوقها مجملا .

ويجب حملها عقلا ونقلا على الخلفاء الأربعة للإجماع على أنه لم يلحقهم من هو أولى بهذه الفضيلة منهم ، فهم الذين صدق وعد الله فيهم ، وهم أئمة حق ، وعلى هدى من ربهم ، قاموا بسياسة المسلمين والذب عن حوزة الإسلام أتم قيام فقرروا قواعد الدين فتمكن وأمن بهم المسلمون أبلغ أمن ، ثم هذه الأمور الموعودة كان ابتداؤها في خلافة أبي بكر وكمالها على أتم الوجوه في مدة خلافة عمر وصدر خلافة عثمان ، وانتهاؤها في إمامة علي رضي الله عنهم أجمعين وهذا مصداق قوله r (الخلافة بعدي ثلاثون ثم يكون ملكا عضوضا) .[1]

فالتعريف في قوله الخلافة للعهد فكأنه قال الخلافة التي وعدكم الله بها ، ومتى صحت خلافة الأربعة وجب ترتيبهم في الفضل والحقية بها على الترتيب الواقع .

وقوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الأمرين إما قتالكم لهم أو إسلامهم ، وليسوا ممن يقاتل حتى يسلم أو يعطى الجزية ، فأما المفسرون فحملوا الداعي على الصديق ، والقوم أولي البأس على بني حنيفة .[2]

---

(١) رواه أحمد والترمذي عن سفينة بلفظ (لخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك) انظر صحيح الجامع (٣٣٤١) .

ووصف الملك بالعضوض ورد في حديثين أحدهما صحيح عند أحمد بلفظ (ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها ثم تكون ملكا عضوضا فتكون ما شاء الله ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها) والآخر ضعيف بلفظ (وكائناً خلافة ورحمة ، وكائناً ملكاً عضوضاً) .

(٢) قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن في تفسير الآية وما فيها من المسائل : الثانية : في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة .

وأما من حيث تعيين ذلك أيضا فللعلم بأن ذلك الداعي للأعراب إلى الجهاد معهم ليس رسول الله r لقوله تعالى (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) ولا عليا رضي الله عنه لأنه لم يقاتل كفارا ليسلموا ، ولا من بعده لأنهم عندنا ظلمة وعندهم أشد ظلما ، وبقي الاحتمال منحصرا في الثلاثة أبي بكر لقتال أصحاب مسيلمة ، وعمر وعثمان لقتالهما فارس والروم ، ويترجح جانب الصديق لأن فارا والروم يقاتلون ليسلموا أو يعطوا الجزية ، وأهل اليمامة يقاتلون أو يسلمون ، ولهذا حمل المفسرون الآية على ذلك ليطابق الواقع ، فثبت أن الصديق هو الداعي الموعود به ، وثبتت خلافته وخلافة من بعده على الترتيب .

وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فلو كانت إمامة الصديق باطلة وقد أعانته عليه والإمامة حق علي ولم تعنه لكانوا شر أمة يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

وقوله تعالى (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) قال ابن عباس : والله إن خلافة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله تعالى وتلا هذه الآية ، وقال قال لحفصة أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدي أخرجه الواحدي وأورده المحب الطبري.(١)

وقال في قوله تعالى (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) قال الزرع محمد r والشطأ أبو بكر فآزره فقواه عمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم.(٢)

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه الضحاك عن ابن عباس ومبارك عن الحسن كما في زاد المسير٧ /٤٤٩ ، ورواه الألوسي من قول عكرمة .

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : سألت النبي r عن تفسير سورة العصر فقـال : (والعصر) قسم من الله تعالى بآخر النهار (إن الإنسان لفي خسر) أبو جهـل (إلا الـذين آمنوا) أبو بكر (وعملوا الصالحات) عمر (وتواصوا بالحق) عثمان (وتواصوا بالصبر) علي أخرجه الواحدي وأورده المحب الطبري .[1]

وموضع الدلالة سياق ترتيبهم الدال على ترتيب منازلهم في الفضـل ، وهـم يوجبـون إمامة الأفضل ، وكذلك كل موضع ورد فيه ذكرهم لا تراهم إلا على هذا الترتيب .

ومن الأخبار قوله r (إني لا أدري قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار ، وما حدثكم به ابن مسعود فصدقوه) أخرجه الترمذي .[2]

وأخرج أحمد وأبو حاتم إلى قوله (أبي بكر وعمـر لا ينبغـي لقـوم فـيهم أبـو بكـر أن يؤمهم غيره) أخرجه الترمذي ، يأبى الله ذلك والمسلمون ثلاث مرات أخرجـه الترمـذي أيضا ، وقد سبق .[3]

وقيل يا رسول الله : من نؤمر بعدك ؟ قال : لئن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينـا زاهـدا في الدنيا راغبا في الآخرة ، وإن تؤمروا عمر تجدوه أمينا قويا لا يخاف في الله لومة لائـم ، وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الصراط المستقيم أخرجه .[4]

وأشار بقوله ولا أراكم فاعلين إلى اختلافهم عليه يوم ولايته وعدم ذكره لعـثمان هنـا لأن كلامه جواب لهم ، ولم يسألوه عنه فنقل الراوي الجواب دون السؤال .[1]

---

(١) ذكر رواية أبي بن كعب القرطبي في تفسير سورة والعصر .

(٢) رواه الترمذي عن حذيفة (٣٧٩٩) وصححه الألباني .

(٣) رواه الترمذي عن عائشة (٣٦٤٦) من غير زيادة يأبى الله ... وقال الألباني ضعيف جدا . والزيادة رواها البخاري وأحمد وغيرهما .

(٤) بياض في الأصل والحديث أخرجه أحمد عن علي رضي الله عنه قال الألباني في المشكاة بأنه ضعيف .

يوضحه أنه قد جاء أيضا في رواية قيل له يا رسول الله ألا تستخلف قال إني إن استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل بكم العذاب قالوا ألا تستخلف أبا بكر ؟ قال : إن تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه ، قالوا : ألا تستخلف عمر ؟ قال : إن تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله قويا في أمر نفسه ، قالوا ألا تستخلف عليا ؟ قالوا : إن تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الصراط المستقيم .(٢)

وبايع r أعرابيا بقلائص إلى أجل فقال يا رسول الله إن أعجلتك منيتك فمن يقضيني؟

قال : يقضيك أبو بكر .

قال : فإن عجلت بأبي بكر منيته فمن يقضيني بعده ؟ قال عمر ؟

قال : فإن عجلت بعمر منيته فمن يقضيني بعده ؟ قال : عثمان .

قال : فإن عجلت عثمان منيته فمن يقضيني ؟

فقال : إذا أتى على أبي بكر وعمر وعثمان أجلهم فإن استطعت أن تموت فإن بطن الأرض خير لك من ظاهرها . أورده المحب الطبري .(٣)

---

(١) لم يرد في الحديث ما يشير إلى كونه جوبا للسؤال عن الثلاثة ، ولكنه إجمال يحمل عليه التفصيل الذي ذكره عقبه.

(٢) رواه البزار وفيه أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف ' . هـ وصحَّحه الحاكمُ على شرط الشيخين ، وهو حديثٌ منكرٌ كما قال الذهبيُّ في "الميزان" .

(٣) أورده العقيلي في الضعفاء (٥٥٧) وابن عدي في الكامل (من اسمه خالد) وابن حبان في المجروحين ١ / ٣٤٥ ، وأبو نعيم في الحلية ٨ / ٢٧٩ ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٩٦٠) من رواية سلم الخواص معروف بالصلاح ولكنه كثير الخطأ في الرواية ، وسياق الحديث أن عليا يقول للأعرابي : إن مات النبي r ، فممن تأخذ حقك ؟ قال : ما أدري ، قال : فارجع فسله ...

ورواه الطبراني بلفظ : أنه قدم رجل من أهل البادية بإبل فاشتراها رسول الله ثم لقي الرجل عليا وفيه الفضل بن المختار ضعيف جدا لا يعول عليه .

وسأله بنو المصطلق إلى من ندفع زكاتنا إن حدث بك حدث ؟ فقال : ادفعوها إلى أبي بكر ، قالوا : فإن حدث بأبي بكر حدث الموت فإلى من ندفعها ؟ فقال : إلى عمر ، قالوا : فإلى من ندفعها بعد عمر ؟ فقال إلى عثمان ، قالوا فإن حدث بعثمان حدث فإلى من ندفعها ؟ فقال : إذا حدث بعثمان حدث فتبا لكم آخر الدهر أورده المحب الطبري . (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دخل النبي r بستانا فأتى آت فدق الباب فقال رسول الله r يا أنس قم افتح الباب له وبشره بالجنة وبالخلافة بعدي ، قال قلت : أعلمه بذلك يا رسول الله : قال أعلمه ففتحت فإذا أبو بكر فقلت أبشر بالجنة وبالخلافة بعد رسول الله r ثم ذكر في عمر وعثمان كذلك ، وذكر في عمر أنه الخليفة بعد أبي بكر وأنه مقتول ، وأن عثمان قال له يا رسول الله والله ما تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك بها قال هو ذاك يا عثمان . أورده المحب الطبري (٢)

وأشار إلى أن هذه قصة غير قصة بئر أريس التي رواها أبو موسى المشهورة في الصحيحين وغيرهما . (٣)

---

(١) حديث أنس بن مالك بعثني بنو المصطلق ... رواه الحاكم في المستدرك (٤٤٦٠) وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وفيه نصر بن منصور المروزي لم يحك الخطيب فيه جرحا ولا تعديلا .

(٢) حديث أنس أورده ابن عدي في الكامل (٩٤٢) وفي سنده الصقر بن عبد الرحمن ابن بنت مالك بن مغول ، قال ابن عدي : سمعت أبا يعلى إذا حدثنا عنه يقول حدثنا صقر بن عبد الرحمن وكان ضعيفا ، ثم أورد هذا الحديث وقال : وكان أبو يعلى ينسب إلى الضعف في هذا الحديث بعينه .

وذكره المقدسي في ذخيرة الحفاظ ٢ / ١٢١٦.

حديث أنس أورده ابن عدي في الكامل (٩٤٢) وفي سنده الصقر بن عبد الرحمن ابن بنت مالك بن مغول ، قال ابن عدي : سمعت أبا يعلى إذا حدثنا عنه يقول حدثنا صقر بن عبد الرحمن وكان ضعيفا ، ثم أورد هذا الحديث وقال : وكان أبو يعلى ينسب إلى الضعف في هذا الحديث بعينه .

(٣) حديث بئر أريس رواه البخاري (٣٤٧١) ومسلم (٦٣٦٧) وفيه البشارة بالجنة دون الخلافة ، وأن المبشر أبو موسى .

وقال رسول الله r : أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نـيط برسـول الله r ، ونـيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر ، قال جابر : فقلنا أما الرجل الصالح فرسول الله r وأمـا تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيـه r . رواه أبـو داود [(١)]

وقال صلى الله عليه و سلم قال : (بينما أنا نائم رأيتني على قليـب أي بئـر عليهـا دلـو فنزعت منها ما شاء الله أي لسقي الناس على حوضها ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بهـا ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ، ثم أخذها ابن الخطاب فنـزع حتـى روي الناس ووصفه بالقوة) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وابن أبي حاتم مـع اخـتلاف في بعض الألفاظ .[(٢)]

وعنه r أنه قال لأبي بكر : كيف أنت يا أبا بكر إن وليت الأمر بعـدي ؟ فقـال : بـل قبل ذلك أموت يا رسول الله ، قال : فأنت يا عمر قال : عمر هلكت إذاً ، قـال : فأنـت يـا عثمان ؟ قال : آكل فأطعم ، وأقسم فلا أظلم ، قال : فأنت يا عـلي ؟ قـال : آكـل القـوت ، وأخفض الصوت ، وأقسم التمرة ، وأحمي الجمرة قال :كلكم سيلي وسيرى الله عملكـم . أورده المحب الطبري [(٣)]

وقال ذات يوم : من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله رأيت كـأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمـر

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٣٦) وضعفه الألباني في ظلال الجنة .

(٢) رواه البخاري (٣٤٧٣) ومسلم (٦٣٤٣) وأحمد (٤٩٧٢) وهناك ألفاظ متقاربة في عدة روايات .

(٣) لا يصح ، قال ابن الجوزي : قال لنا شيخنا ابن ناصر موضوع فيه مجهولون ومتهم ، انظره بألفاظ متقاربة في تنزيـه الشريعة المرفوعة ٢ / ٧ ــ اللآلي المصنوعة ١ / ٣٩٠ .

فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان قال الراوي فرأينا الكراهة في وجه رسول الله r .

وفي رواية (فاستاء لها يعني فساءه ذلك فقال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء).[1]

وسبب الكراهة التي بدت على وجهه ليس راجعا إلى رجحان بعضهم ببعض لأن ذلك هو المعلوم المقرر عنده بل راجع إلى قوله ثم رفع الميزان ، وهذا الميزان هو الميزان المشار إليه بقوله تعالى (الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) ، وهو الميزان الذي يوزن به حكم الكتاب الذي نزل مقارنا له ، فيسوى به الحقوق ، ويقام فيها القسط فيعطى كل ذي حق حقه ، ولما أخبره أنه ذلك الميزان رفع بموت عثمان علم أن منتهى استقامة أمته على أكمل الأحوال ، وأتم قوانين العدل إلى موت عثمان ، وهذه المدة المشار إليها بقوله خلافة نبوة أي كاملة من كل وجه باجتماع الكلمة واتحادها كما اجتمعوا على نبيهم سامعين مطيعين ، ثم يحصل الجور في جانب فيعطى بعض الحق غير أهله كما انصرفت الخلافة عن علي وآله إلى بني مروان .

ولا يقدح ذلك في خلافة سيدنا علي لأنه قد أدخل مدته في أسهم الخلافة الموعود بها في قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) فهذه هنا خلافة نبوة ، وهي خلافة خاصة مشروط فيها اتحاد الكلمة ، والتي في الآية خلافة حق عامة مطلقة والله أعلم .

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود عن أبي بكرة ، وصححه الألباني في المشكاة .

وقال رجل : (يا رسول الله رأيت كأن دلوا دلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء) أخرجه أبو داود .[1]

ومعنى انتشطت : جذبت ورفعت قبل أن يتمكن من الري من غير تقصير منه ولا تفريط ، ومع تأهله وشدة حرصه لولا ما حال بينه وبينها من القضاء المبرم ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

ومن الآثار عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي r بعثه واليا على عمان ، ومات رسول r وهو ثمّ ، فجاء عالمهم وكان قد أسلم ليلة مات رسول الله r فقال له : (قد مات رسول الله r وأتى عليه هذه الليلة وأتى نحو ذلك في كتابنا ، قال فلم ألبث أن جاءني كتاب أبي بكر بذلك فقلت لهم هذا الذي ولينا بعده ما تجدونه في كتابكم ؟ قال : يعمل بسيرة النبي r يسيرا ثم يموت ، قال : قلت ثم ماذا ؟ قالوا ثم يليكم قرن الحديد يملأ مشارق الأرض ومغاربها قسطا وعدلا لا تأخذه في الله لومة لائم) أورده المحب الطبري .[2]

وأخرج أبو داود أن عمر رضي الله عنه سأل الأسقف ـ وهو عالم النصارى ـ لما قدم عليه كيف تجدوني عندكم ؟ فقال : قرن حديد ثم تعرض لخلافة عثمان بعده وخلافة علي بعده رضي الله عنهم .[3]

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٧٣) وضعفه الألباني في ظلال الجنة .

(٢)كنز العمال (٣٥٣٨٧) عن ابن عساكر وهو ضعيف .

(٣) رواه الترمذي (٤٦٥٦) وقال الألباني : إسناده ضعيف .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال : كنت ببصرى من أرض الشام فأدخلني النصارى ديراً كبيرا فيه تصاوير كثيرة فإذا بصورة رسول الله r وصورة أبي بكر رضي الله عنه وهو آخذ بعقب النبي r فقالوا : هل ترى صورة صاحبكم ؟ قلت : نعم ولا أخبركم حتى أرى ما تقولون ، قالوا : هو هذا ، قلت : نعم أشهد أنه هو ، قالوا : أتعرف هذا الذي آخذ بعقبه ؟ قلت : نعم ، قالوا : أتشهد أنه الخليفة بعده ؟ قال وذلك في ابتداء الإسلام والنبي r بمكة يومئذ أورده المحب الطبري .[1]

ثم إنه مما ألجأ الصحابة رضي الله عنهم إلى المبادرة بعقد البيعة للصديق رضي الله عنه مع ما قد عرفوا من الفضل مع ما أبان الله به فضله وأظهر به شأنه وغزارة علمه ونبله :

فمنها : ثباته عند اختلافهم في موت النبي r واختلال عقول أشدهم بأسا عند تلك الصدمة العظيمة [2] فخطبهم وقرر لهم موت النبي r وعزاهم به ، وقوى عزائمهم على الصبر ونصرة الدين والثبات على ما كان عليه نبيهم r بقوله رضي الله عنه :

(أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) فكأنهم لم يسمعوا قبل مقامه ذلك بهذه الآية ، فحمدوا الله واسترجعوا وصبروا وثبتوا ولو كان الخطب عظيما .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير والأوسط قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٤٢٦ : وفيه من لم أعرفهم . وأخرج الطبراني عن بلال بن الحارث نحوه .

(٢)في النسخة (أ) واختلال عقولهم أشدهم بأسا عند ذلك الصدمة ، وفي النسخة (ب) واضطراب عقول أشدهم ....

ثم قال لهم ليجمع شملهم على الهدى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ، إنه لا بد لهذا الدين ممن يقوم به ، ولم يدعهم قط إلى نفسه ، ولا طلب انقيادهم له خاصة ، فأناب الكل إلى قوله إلا أن الأنصار رضي الله عنهم قالوا : صدقت ولكن منا أمير ومنكم أمير أي لأنهم كانوا ممتازين أيام الرسول ، فالمهاجرون حيز والأنصار حيز ، وكان رسول الله r كثيرا ما يؤمر على المهاجرين رجلا منهم ، وعلى الأنصار رجلا منهم مع أنهم كلهم مآل أمرهم إليه .

فعرفهم الصديق أن القائم بعد رسول الله r يقوم مقامه ، فيجب الإجماع على الولاية العظمى ، وتلك ولاية في بعض الأحوال تكون بنظر الإمام ، فلا يجوز أن تكون الإمامة إلا لشخص واحد ، ثم يجب أن يكون قرشيا لقوله r (الأئمة من قريش) (١) وأيضا قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقد سمانا الصادقين في قوله تعالى (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللهِّ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) .

فقد أمركم الله أن تكونوا معنا تبعا فأذعنوا له ، واعترفوا بغزارة علمه ، فعقدوا له البيعة كارها ، ثم اختلفوا في موضع يقبر النبي r ، فمنهم من قال ينقل إلى مكة لأنها مسقط رأسه ، ومنشأه ومقام أبيه إبراهيم ، وحرم الله الأعظم ، وقال قوم بل ينقل إلى بيت المقدس عند أبيه إبراهيم وإخوانه الأنبياء والمرسلين ، وقال قوم بل يقبر في البقيع بالمدينة عند أصحابه لأنها قد صارت دار هجرته ، والبقيع بالباء هي المقبرة التي أمر بها r ، فتنازعوا في ذلك فرجعوا إليه ، فقال سمعته r يقول : (إن الأنبياء تدفن حيث تقبض

---

(١) سبق تخريجه .

أرواحهم أو كما قال) [١] فدفنوه في حجرته فزال عنهم الخلاف ، واطمأنت قلوبهم ببركته رضي الله عنه .

ولم يزالوا يتعرفون بركة رأيه ، وغزارة علمه ، وثبات جأشه ، فأول شيء اختلفوا فيه بعد دفن النبي r وعقد البيعة له جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه ، وكان النبي r أمره على جيش ومات ، والجيش مجموع بظاهر المدينة ، فأشار جمهور الصحابة على أبي بكر بتخليفه ليكون عونا للمسلمين خشية أن يحدث على المدينة حدث قبل استقرار الأمر فأبى إلا تنفيذه لجهته ، وقال : (والله لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين أزواج النبي r ما حللت لواء عقده رسول الله r بيده [٢] ، ويكون ذلك أول شيء أبدأ به في أمري) ، فنفذه لشأنه فحمدوا عاقبته ، وبركة رأيه لما في ذلك من الإرجاف لكثير من أعداء الدين .

وكانت الأعراب التي حول المدينة قد أشاعوا الردة ، فلما رأوا ذلك قالوا والله ما تجاسر هؤلاء على تجهيز الجيوش مبادرة إلا وأمرهم مجتمع وشملهم متحد ، فانكسر به حدهم .

ثم من العرب من ارتد كبني حنيفة ، ومنهم من منع الزكاة فقط ، فعزم على قتال الكل فنازعه الصحابة أولا في قتال مانعي الزكاة ، وقالوا كيف نقاتلهم وهم يقولون لا إله إلا الله ، وقد قال رسول الله r أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم فقال ألم يقل إلا بحقها ، وهذا من حقها ، والله لأقاتلن من

---

(١)حديث عائشة رضي الله عنها: قالت: " لما قبض رسول الله r اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله r شيئا ما نسيتة قال: " ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه "، فدفنوه في موضع فراشه " أخرجه الترمذي وقال: " حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه ".

قال الألباني في أحكام الجنائز : لكنه حديث ثابت بما له من الطرق والشواهد .

(٢) عن أبي هريرة في السيرة الحلبية .

فرق بين الصلاة والزكاة لأنهما مقترنان في قـوله تعالى (فإن تابوا وأقـاموا الصـلاة وآتـوا الزكاة فخلوا سبـيلهم) [١]

قالوا له : فلعلك تعرض أولا عن مانعي الزكاة وتستعين بهم عـلى أهـل الـردة ثـم إذا استقر الأمر فلك فيهم شأنك فقال : فإن ترك آخرون الصلاة وآخـرون الزكـاة وآخـرون الصيام وانحلت عرى الدين عقدة عقدة فماذا أفعل ، بل أستعين بالله على نصرة دينه ، وهو خير الناصرين ، فانشرحت صدورهم برأيه المبارك ، وانقادوا له ، وعرفوا بذلك علو همتـه وشك عزمه ، فحصل النصر والظفر ، واستقرت قواعد الإسلام ببركته رضي الله عنه .

---

(١) انظر مراجعة عمر له في ذلك في صحيح البخاري .

فصل

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله r قال من كنت مولاه فعلي مولاه) أخرجه الترمذي وأحمد وفي بعض طرقه (ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم) قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره .[١]

وعنه أيضا سمعت رسول الله r يقول لعلي رضي الله عنه : (أنت أخي في الدنيا والآخرة) أخرجه الترمذي .[٢]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : استعمل رسول الله r عليا على سرية فلما رجعوا شكاه أربعة نفر من السرية والنبي r يعرض عنهم فقال : (ما تريدون من علي ما تريدون من علي إن عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي) أخرجه الترمذي وأحمد.[٣]

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله r خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال : (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) أخرجه البخاري ومسلم .[٤]

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله r (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السماء

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) رواه أحمد (١٩٩٤٢) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف ، و الترمذي (٣٧١٢) وصححه الألباني في الصحيحة ،

(٤) سبق تخريجه .

إلى الأرض وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فأنظر كيف تخلفوني فيهما) أخرجه الترمذي . (١)

والأخبار الواردة في فضل علي وسائر أهل البيت الطيبين الطاهرين أكثر من أن تحصر ، وفضلهم ومجدهم وفخرهم أشهر من أن يذكر ، وليس من شرط محبتهم وموالاتهم الغلو في الدين ، واتباع سبيل المفسدين قال الله تعالى (لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) .

وما استمسك به المبطلون في أن هذه الأحاديث وأمثالها تقتضي أن يكون سيدنا علي هو الوصي بالخلافة ، وأن خلافة الثلاثة من السادة الأتقياء قبله معصية مخالفة لنص الرسول إفك مفترى اجترأوا عليه سفها بغير علم افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ، ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا ، (فأما الذين في قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) على وفق أرائهم الفاسدة (والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب).

(أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ) .

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نزلَ اللهُ

(١) سبق تخريجه .

سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ . فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) .

وأي سخط أعظم ممن يعتقد رأيا يؤدي إلى تكذيب الله تعالى وتكذيب رسوله وتكذيب أصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين ، وتخطئة علي وابن عباس وأتباعهما من سادة أهل البيت بموالاتهم الصحابة ونسبتهم إلى خذلان دين الله بتركهم بذل أنفسهم في نصرة الله ورسوله إلى غير ذلك من الآثار القبيحة ، والفضائح الشنيعة قبح الله معتقديها الذين استحبوا العمى على الهدى ، وأذاقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .

يا عجبا أي عقل أو نقل يقضي أن ترتكب مثل ذلك بمجرد احتمال قام الإجماع على أنه غير مراد ، مع أنا وجدنا ألف آية في كتاب الله ، وألف حديث يتواتر في سنة رسول الله r متطابقة على الأمر بتولية علي بعد النبي ، ثم وجدنا الإجماع منعقد من الصحابة ومن علي أيضا على أن الصديق أولى بالخلافة على تصويب ما فعلوه كانت القواعد المقررة والأصول المحررة المتفق عليه بين أئمة الدين تقتضي إما حمل تلك النصوص كلها على النسخ ويمحق الله ما يشاء ويثبت ، وإما على التأويل اللائق المؤدي إلى الجمع بينها وبين ما أجمعوا عليه .

ولم يداخلنا شك في أنهم إنما امتثلوا بما أجمعوا عليه أمر الله تعالى ولم يتعدوا حكم الله لأنا إن لم نعتقد ذلك لزمنا اعتقاد بطلان الكتاب كله والسنة كلها وحصلنا على مراد أعداء الله تعالى المتظاهرين بالرفض ، المصرين على الكفر المحض ، فكيف نتناول احتمال أحاديث قد عورضت بما هو أقوى منها متنا وسندا مستندا إلى الإجماع ن وتقرير كل نص في محله .

فقوله r (من كنت مولاه فعلي مولاه) يحتمل أن يريد ما زعمه الخصم إثبات ما لـه من الولاية عليهم والتصرف فيهم بعده من غير فاصل بينه وبينه ، ويحتمـل أن يكـون مـع فاصل ، ويحتمل أن يكون المراد بالمولى القائم بالنصرة والتقدير من كنت مولاه فعـلي قـائم مقامي بعدي في نصرته ، وهو ناصر كل مؤمن بعدي ، أو من كان عـلي نصرـته فعـلي عـلي ذلك أيضا لأن قرابة الرجل تتحمل ما على قريبه .

وفائدة اختصاصه بذلك ما عرف لعلي من النصرة لدين الله بما لم يعرف لغـيره ، فكـم جلى من كروب ، وكم كابد من حروب ، وكم فتح الله على يديه في زمنه r وكان ذلك كله منه لنصرة الله ورسوله ، والله ورسوله ولي المؤمنين (ذلك بأن الله مـولى الـذين أمنـوا وأن الكافرين لا مولى لهم) أي لا ناصر لهم ، وإذا كان كذلك أعلمهم أيضا أنه يبقى بعده عـلى ما كان عليه ناصرا لمن كان النبي ناصره ، وصدق r فكم أشاد الله مـن دعـائم الإسـلام ، وأثبت له بها المنة في عنق الخاص والعام .

ويحتمل أن يريد إثبات الخلافة له في الجملة لكن بعد فاصل بينه وبينه ، وقد وقع ذلك ، وهذا كما ثبت أنه r رأى في منامه حورية في الجنة لعـثمان فقـال لهـا لمـن أنـت ؟ فقالـت للخليفة بعدك .[١]

ومثل ذلك جائز في كلام العرب حقيقة ومجازا لصدق البعدية حتى أهل عصرـنا هـذا لو صدق عليهم اسم الخلافة حقيقة لم يزل اسم الخلافة مسـتمرا عـلى الزمـان ، لأن قولنـا

(١) روى الطبراني في المعجم الأوسط ٣ / ٢٦١ عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعا (لما عرج بي إلى السماء الدنيا دخلت جنة عدن فوقعت في يدي تفاحة فلما وضعتها في يدي انفلقت عن حوراء عيناء مرضية أشفار عينها كمقاديم أجنحة النسور قلت لها لمن أنت قالت أنا للخليفة من بعدك) قال : لم يرو هذا الحديث عن الليث إلا عبد الله .

جاء زيد بعد عمرو محتمل أنه جاء بعده من غير فاصل ومن غير مهلة ، ويحتمل عكس ذلك ، فكذلك قوله بعدي على هذا الوجه محتمل .

وعلم الصحابة بترجيح الاحتمال الثاني بتولية أبي بكر في الصلاة مع حضور علي وغيره هو خبر متفق على صحته بخلاف شيء من هذه الأخبار فإنها غاية ما تبلغ درجة الحسن سوى قوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) وقد علم من سياق القصة أنه قال له تطييبا لخاطره وإعلاما له إنما اختاره له من الخلافة عنه بالمدينة عند سيره إلى الجهاد في تلك المرة لا غير لا نقص عليه فيه ، وإن تلك المنزلة منزلة هارون ـ الذي هو أرفع درجة ـ (١) من موسى حيث يقول موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي ، وأن الرفعة له فيما اختاره من المضي معه كما هو أكثر أحواله ، والتخلف عنه كما في هذه المرة .

وكيف يكون مراده بذلك تولية الخلافة بعده وهارون المشبه به مات قبل موسى عليهما السلام ، وإنما خلفه فتاه وصاحبه في سفره يوشع الذي هو بمنزلة الصديق ، ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فصح أن عليا في تلك المرة بمنزلة هارون من موسى ، وأبو بكر بمنزلة فتى موسى من موسى في تولية الخلافة .

وفائدة جمع المسلمين وإشهادهم على ما في بعض طرق الحديث من قوله (ألستم تعلمون أني ولي بكل مؤمن في نفسه إلى آخره) إخبارهم بأن عليا كان خليفة بها ولاه عليه من أمر السرية بل ومتأهل التولية أمر الأمة بعده أيام خلافته التي وقعت لا سيما وقد شكوا منه ، فأراد التنبيه على جلالة قدره وتعريفهم بأنه سيولى أمرهم ليتمرنوا على اعتقاد

---

(١) في النسخة (ب) الذي هو أرفع منه ، والمعنى أي أن نبي الله هارون أرفع درجة من علي رضي الله عنه .

طاعته وينوطوا به الآمال ، إذا توقعوها كائنة وليحذرهم من مخالفته والخروج عليه لما أطلعه الله من أنهم لا يجتمعون عليه لتكون إقامة الحجة على من يعمل خلافه يومئذ .

ولو كان المراد ما زعمه الخصم للزم منه ما يترتب عليه من المقاصد السابقة ، فوجب العدول عنه عقلا ونقلا .

وما أحسن قول الحسن المثنى بن الحسن بن علي رضي الله عنه لما قال له الرافضي يزعم ما زعمه الخصم : ألم يقل النبي r من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الحسن : أما والله لو عنى بذلك رسول الله r ما تزعمه من الخلافة بعده وتوليته عهده لأفصح به ولقال : (أيها الناس إن عليا هو ولي عهدي والخليفة بعدي فاسمعوا له وأطيعوا) أي كما أفصح بالصلاة في قوله (مروا أبا بكر فليصل بالناس) وكما قال (اسمعوا وأطيعوا وإن كان عبدا حبشيا).

ثم قال : (لئن كان ما زعمتم حقا أن النبي r اختار عليا لهذا الأمر بمشهد من المسلمين فإن عليا أعظم خلق الله إثما وأفحشهم خطئية وجرما ! إذ ترك أمر رسول الله r والقيام بأمر الله وحابى فيه الناس) أورده المحب الطبري .

وأما قوله r لعلي (أنت أخي في الدنيا والآخرة) فذلك بعد أن آخى بين المسلمين وجاءه علي تدمع عيناه قال يا رسول : آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد ، فالسياق يدل على وقوع القول وجوبا تطييبا لقلبه مع أنه حق في نفسه ، والأخوة هنا أخوة الإسلام ، واختصاص علي بها في هذا المقام فضيلة هو لها أهل .

ولكن إذا قوبلت هذه الفضيلة بفضيلة الصديق التي أثبتها له r ابتداء بقوله وهو على المنبر قبل أن يموت بأيام قلائل في مرضه الذي مات فيه وقد خرج عاصبا رأسه بخرقة

فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قـال : (أيهـا النـاس إني أبـرأ إلى الله أن يكـون لي منكم خليل ، وإن الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، ولو كنت متخذا من أمتـي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكنه أخي وصاحبي) ، وفي روايـة (ألا إني أبـرأ إلى كـل خل من خلته) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي مع اختلاف في بعض الألفاظ.(١)

واتفقوا على قوله (لو كنت متخـذا خلـيلا لاتخـذت أبـا بكـر خلـيلا ، ولكـن أخـي وصاحبي) ظهر لك أن الله يمن على من يشاء من عباده ، ويختص برحمته مـن يشـاء ، والله ذو الفضل العظيم ، وأين قوة السند من السند ، والمتن من المتن ، والفضيلة من الفضـيلة ، والقول المبتدأ من القول المستدعى (وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير) .

وأما قوله r (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن ضلوا إلى آخره) فصدق رسـول الله r لكن الشأن في فهم من هو أحق بهذه الفضيلة ، فإن كان أهل بيتـه العبـاس وابنـه عـلي وعليا وابنيه ومن اقتفى أثرهم ، واتبع أفعالهم وأقوالهم من أهل البيت إلى يوم الـدين فقـد ظهر مصداق ذلك إذ لم يزالوا قرناء كتاب الله وسنة رسول الله ، وانتشر عنهم من التفسـير والحديث والفقه والمواعظ والحكم والسياسات الرياضية وغيرها مـا طبـق الأرض ومـلأ أقطار الدنيا ، فعلى مخالفهم منا ومن الخصم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وبيننا وبين الخصم تحكيم النصوص عنهم أولا ثم المباهلة فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وإنا وإيـاهم لعلى هدى أو في ضلال مبين .

وقد سبق عن أهل البيت ما فيه كفاية لقوم مؤمنين (فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِّ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ) (وَنُقَلِّـبُ

---

(١) رواه البخاري (٣٤٥٤) ـــ ومسلم (٦٣٢٠) والترمذي (٣٦٥٥) .

أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) .

وأما ما اجترأ عليه عدو الله من القدح في الثلاثة الخلفاء رضي الله عنهم فقد علمت مما سبق أن القدح فيهم خاصة وفي سائر الصحابة عامة ، يؤدي إلى الكفر الصريح الذي ليس بعده كفر فاتخذ ذلك أصلا لترد به تزويرات أهل الأباطيل ، وتحمل به ما صح وثبت على أجمل المحامل وأحسن التأويل .

وكان الأولى بنا أن لا نلوث كتابنا بما ألقاه ، ويجعل لهم أسوة بما قد افتراه أعداء الله على الله :

قد قيل إن الأله ذو ولد	وأن هذا الرسول قد كهنا
فما سلم الله من بريته	ولا رسوله فكيف أنا

لكن رأينا أن نكافئه عنهم بسوء فعله ، ونكشف الغطاء عما غره من قبيح جهله بنكت نشير إلى الجواب وتهدى إلى جادة الصواب .

أما قوله (إن عليا رضي الله عنه قد استنقذ أم ابنه محمد بن الحنفية من يد أبي بكر إذ كان لا يجوز لأبي بكر سبيها) فهذه العبارة الخشنة من أين لفقها وعمن تلقفها ؟ أم من هواه اختلقها أم من مخارق أهل مذهبه الفاسد اخترقها ؟ بل المحمل الصحيح في ذلك أن أبا بكر رضي الله عنه رأى جواز سبي نساء أهل الردة قياسا على الكفار الأصليين فوافقه الصحابة يومئذ على ذلك ، وهي مسألة اجتهادية للاحتمال فيها مجال ، ثم ترجح بعد ذلك

للصحابة الفرق بين الكافر الأصلي وبين المرتد فلا تسبى ذراري المرتدين ، وكانت أم محمد بن الحنفية من السبي .[1]

فإن صح أن عليا جدد نكاحها من وليها أو غيره فمحمول على الورع والاحتياط قبل ترجيح عدم جواز سبي المرتدين ، وعلى تدارك الصحة إن كان بعد الترجيح ، ولا يترتب على ذلك قدح ولا ذم أصلا .

أما قوله (لأنها من قوم لم يجر منهم ما يوجب القتال) فإن كانت هذه الفتوى من على دين محمد r فكذب عدو الله لانعقاد إجماع الأمة على أن بني حنيفة ارتدوا ، وادعى فيهم مسيلمة الكذاب لعنه الله النبوة ، وافترى على الله ، وقال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ، وقال سأنزل مثل ما أنزل الله ، وتزوج بسجاح اليربوعية المدعية للنبوة أيضا وأمهرها أن حط عن قومها صلاتي الصبح والعشاء ، ولا خلاف بين المسلمين على كفرهم .

وإن كان على مذهب إمامه وقدوته عدو الله علي بن الفضل القرمطي [2] فصدق لأنه استولى على اليمن وتمكن وأظهر ما تضمره الإسماعيلية من المذهب الخبيث ، وادعى أولا النبوة ، وكان يؤذن المؤذن بين يديه أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، واستباح المحظورات ، وأحل الخمر والزنا ونكاح البنات وأنشد أبياته المشهورة :

خذي الدف يا هذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبى بني هاشم	وهذى شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام فلم نتعب

(١) النسخة (ب) وكانت خولة أم ابنه محمد من السبي .

(٢) علي بن الفضل الجدني كان ينتحل الرفض ثم طمع فيه دعاة الباطنية تمكن من الرعاع وأعلن كرفه الصريح ت ٣٠٣ هـ .

إذا الناس صــــلوا فلا تنهضي وإن صـــوّموا فكلي و اشـــربي

و لا تطلبي الســعي عند الصفا و لا زورة القـــبر فى يثـــرب

ولا تمنعي نفـــسك المعــرسين من الأقـــربين ولا الأجـــنبي

فكيـــــف حللت لهذا الغريب و صـــرت محـــــــرمة للأب

أليـــس الغـــراس لمـــن ربه وأســـقاه في الزمن المجـــدب

و مـــا الخمـــر إلا كماء السماء حـــلال فقــدست من مذهب

بل قبحه الله من مذهب .(١)

ثم ادعى الربوبية ثانيا فكان إذا كتب كتابا قال فيه : (مـن باسـط الأرض وداحيهـا ، ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان) .(٢)

فلا رحم الله مثواه ، ولا بلّ بشيء من وابل الرحمة ثراه .

فمن كان هذا إعلان إسراره ، وعنوان صحيفة إضماره ، فكيف يميـل إلى مذهبـه مـن يدعي الإيمان فضلا عن أن يعتقده أقوم الأديان (تَرَى كَثِيرًا مِـنْهُمْ يَتَوَلَّـوْنَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُـمْ خَالِـدُونَ . وَلَـوْ كَـانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) .

وأما قول عدو الله : (إن عليا لم يتأمر عليه أبو بكر ولا غيره ، ولا صلى خلف أحد من الخلفاء قبله) فكذب مفترى ، وقد سبق تصريح علي نفسه بأنه بايع أبا بكر وعمـر طائعـا ،

---

(١) النسخة (ب) الشطر الثاني من البيت الثاني (وهذا نبي بني يعرب) وأثبت البيت الثالث (لكل نبي مضى شرعة .... وهذي ...

(٢) انظر كتاب قواعد آل محمد وفيه : وناصب الجبال ومرسيها إلى عبده أسعد بن يعفر !! ص ٩٧ .

وعلى ذلك انعقد الإجماع لكن لم يبايع أبا بكر إلا بعد ستة أشهر من خلافته واعتذر إليه من تخلفه .

وقد سبق في خطبة علي أيضا أن أبا بكر صلى بالناس في حياة رسول الله r سبعة أيام ، ولم يصل رسول الله r خلف أبي بكر في تلك المدة ، ولا معنى للسؤال عن ذلك لأنه إنما أقامه نيابة عنه لعدم قدرته على الصلاة بالمسلمين ، وكفى لأبي بكر فخرا قيامه مقام المصطفى r .[١]

وموضع قبر النبي r كان ملكا لرسول الله r خلفه تركة بعده يصرف في المصالح ولأزواجه بعده في ذلك حق السكنى كما لهن حق الإنفاق من صدقاته ، ثم يصير فيئا للمسلمين ، فلما قبر النبي r في حجرة عائشة رضي الله عنها بقي ذلك الموضع الباقي مستحقا لعائشة فيه السكنى ، والبيت بيتها فأذنت لأبيها في ذلك ثم استأذنها عمر عند موته وأمر باستئذانها بعد موته أيضا فأذنت له حيا وميتا .

وقد سبق ذكر قول علي في عمر : إني كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك وروي أنه r مر بقبر يحفر فقال قبر من هذا ؟ فقالوا قبر فلان الحبشي ، فقال : سبحان الله سيق من أرضه إلى الأرض التي خلق منها .[٢]

---

(١) زاد في النسخة (ب) في عمود الإسلام .

(٢) حديث أبي سعيد : أن النبي r مر بالمدينة فرأى جماعة يحفرون قبرا ، فسأل عنه ، فقالوا : حبشيا قدم فمات ، فقال النبي r : " لا إله إلا الله سيق من أرضه و سمائه إلى التربة التي خلق منها " . أخرجه البزار وفي سنده عبد الله بن جعفر بن نجيح ضعيف ، و أبوه لا يعرف ، وللحديث شاهدان :

الأول : عن ابن عمر أن حبشيا دفن بالمدينة فقال رسول الله r : " دفن في الطينة التي خلق منها " رواه أبو نعيم وإسناد ضعيف .

والثاني : عن أبي الدرداء قال الهيثمي : " رواه الطبراني في " الأوسط " و فيه الأحوص بن حكيم وثقه العجلي و ضعفه الجمهور " .

وقال علي : (إني لأعلم لأبي بكر وعمر فضيلة ليست لأحد خلقا من تربة خلق منها النبي r) أورده المحب الطبري .

وكفى بهذه شهادة من المصطفى ومن علي لهما بأن جعلهما عنده أكبر المناقب ، فكيف يصادم عدو الله قولهما ، ويجعل ذلك من أقبح المثالب .

وأما تركه r الوصية بتعيين الخليفة من بعده فقد سبق أنه r أشفق على أمته من أن يحصل منهم عصيان لخليفته أو خليفة خليفته وهلم جرا فيحل بهم العذاب ، فوكل ذلك إليهم ليجمع لهم بين فضيلة الاجتهاد وبين السلامة من الوقوع في المحذور ولو بعد حين ، ودعوى الخصم الوصية لعلي خلاف الإجماع إن أراد بذلك الخلافة الكبرى ، وأما في أمور جزئية فمسلم .

وكون علي رضي الله عنه يسمى وصيا فقد سئل عنه علي فقال : لا ، وقد سبق قوله : لم يعهد إلينا في ذلك شيئا ، وإنما هو شيء رأيناه من أنفسنا فهو تكذيب لعلي نفسه ، هذا مع إجماع المسلمين على تسمية الصديق خليفة رسول الله r ، وإجماعهم على أنه لم يستخلفه فإن صح تسمية علي بالوصي فكذلك .

ونزول أبي بكر وعمر عن مجلس النبي r في المنبر أدب ليس بواجب ، وعود عثمان إلى مجلس النبي r اتباع لسنة النبي وعمل بما عمل ، وهو أفضل يومئذ لما فيه من المصلحة لأنه يترتب على ذلك لو بقي كل خليفة ينزل درجة تبين هجران سنة المنبر ، ولكان الخليفة اليوم يخطب الناس وهو في تخوم الأرض .

قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٥٨) : فالحديث عندي حسن بمجموع طرقه .

وإذا صحت إمامته نفذت تصرفاته كلها من الأخذ والعطاء والنفي والإثبات بنظر المصلحة .

وفدك صارت بالإجماع غير ميراث عن النبي r وكان مذهب عثمان وكثير من العلماء أنها للوالي بعده لأنه القائم مقامه ، فاستحقها عثمان كلها ووهبها لأرحامه ، وعند الباقين أنها صارت فيئا للمسلمين من جملة المصالح العامة يتصرف فيها الوالي كيف شاء بحسب ما يراه من المصلحة ، وعلى كل تقدير فقد اتفقوا على تصويب عثمان فيما فعله فيها وفي غيرها ما سوى عدو الله وأهل مذهبه .

ولو أن عمر رضي الله عنه قتل ألفا من أمثال سعد بن عبادة وأمثال الزبير حملناه على الصواب وموافقة حكم الله بعد أن نصحح إمامته [١] لأن تصرفات الأئمة لا سيما عمر محمولة على الصحة ما لم يعلم مخالفتها لنص فضلا عن تخطئته بضرب أو كسر سيف لا صحة له .

وقد قال يوم أوصى بالخلافة شورى بين المسلمين وهو في تلك الحالة إذا اتفق أربعة منهم على رأي وخالفهم اثنان أي من الستة المذكورين فاشدخوا رؤوسهما بهذا السيف ، فنظرهم رضي الله عنهم مصروف إلى ما يصلح الأمة وحسابهم على الله تعالى لا إلى محاباة زيد وعمرو .[٢]

---

(١) هذا استعجال الواجب فيه التريث ، وإقدام الواجب فيه الإحجام ، فما أغنى الشيخ عن هذا التعبير الذي يضل شجى في الحلق ، وزلة تزال وعثرة تقال فإنه من ذوي الهيئات إن شاء الله وقد أمرنا بإقالة عثراتهم.

(٢) رواه البخاري بلفظ (من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا) .

وكراهته r أن ينتشر إخباره بالخليفتين من بعده محمول على أمر الله له بذلك مراعاة لقرابته ، وهو مأمور بالتبليغ فيما أمر بتبليغه ، وبالكتمان فيما أمر بكتمه ، ومخير في أشياء يبلغها إن شاء ويخبر بها من شاء ويكتمها عن من يشاء ، ومن المحتوم عليه التبليغ فيه تبليغ القرآن ومتى لم ينص على شيء لا يقال لم لم ينص عليه ، وإنما علينا قبول ما جاء عنه من غير اعتراض بعقولنا القاصرة عن أسرار النبوة .

والخلافة باقية إلى الآن بمصر غي بني العباس لا يصح عندهم تولية سلطان إلا بعقد يعقد له من الخليفة القائم في كل عصر .

ونكاح عمر رضي الله عنه لأم كلثوم متفق على صحته ، ومذهب جمهور السلف والخلف أن الكفاءة في الحرية والدين والعفة كافية ، وقد زوج النبي r فاطمة بنت قيس القرشية من مولاه أسامة بن زيد واختاره لها على قريش وليس لها ولي غير الشرع ، والغبطة والمصلحة عند ولي أم كلثوم بنت علي كانت أظهر من الشمس ، وإنما خفيت على حزب الشيطان ، وما اعتبره الشافعي من مراعاة الكفاءة في النسب أيضا مذهبه الجديد ، والمسألة اجتهادية ، واختلاف المجتهدين في الفروع لا قدح فيه .

وكل ما نقل في أمر فدك من ميراث أو نحلة شيء منها فإن تقرير علي لها على ما كانت عليه أيام الخلفاء قبله يكذب ذلك كله .

وقد قام بعض العلوية في جامع الكوفة والمصحف في عنقه بين يدي السفاح أول خلفاء بني العباس وناشده الله أن ينصفه ممن ظلمه فال ومن ظلمك ؟ قال أبو بكر أخذ ميراث فاطمة من فدك ، قال فهل كان بعد أبي بكر خليفة ؟ قال نعم عمر ، قال فما فعل فيها ؟ قال أقام على ظلمنا ، قال : فهل بعده من خليفة ؟ قال نعم عثمان ، قال فما فعل ؟

قال أقام على ظلمنا ، قال فهل بعد عثمان خليفة ؟ قال نعم علي قال فما فعل ؟ فبهت ، فقال السفاح : وايم الله لو لا أن هذا أول مقام قمته فيكم لنكلت بكم .

فقل لأعداء الله ما منع أيضا عليا أن يعمل فيها بما يضمرونه في أنفسهم أيام خلافته (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلا . أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا تفسير ابن كثير .أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا) (وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

الخاتمة

في زيادة شرح لقوله r (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به الحديث) والحث على حب أهل البيت وإكرامهم وفيه فصلان

الفصل الأول

فقوله : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بـه) أي الـذي إن تمسـكتم بـه ، فـما موصـولة والجملة الشرطية صلتها ، أو شيئا إن تمسكتم به فهي نكـرة موصـوفة بالجملـة الشرـطية ، والتمسك بالشيء التعلق به وحفظه .

وقوله : (أحدهما أعظم من الآخر) ، وهو كتاب الله إنما كان القرآن أعظم لأنه أسوة تقتدي به العترة المأمور بالاقتداء به وبهم سائر الناس .

وقوله (حبل ممدود من السماء إلى الأرض) [١] ، ووجه التشبيه بينهما أن مـن وقـع في بئر أو مهواة فسبيل نجاته وإنقاذه أن يدلى له حبل مـن أعـلى يتمسـك بـه فيرتفـع ، وكـان الناس لما كانوا قبل نزول القرآن واقعين في مهواة الهلاك من الكفر والضـلال المفضي- بهـم إلى خسران الدنيا والآخرة ، وبعد نزوله واقعـين في مهـواة طبـائعهم مشـغولين بشـهوات أنفسهم معرضين عما يهمهم من أمـر آخـرتهم المفضـية إلى الانحطـاط عـن الرتبـة العليـة الفاخرة ، ثم أنزل الله سبحانه كتابه الذي بصر به بعد العمى ، وهـدى بـه بعـد الضـلال ، وأحيا به القلوب بعد موتها ، واستنقذ به النفوس من أسر شهواتها ، رفعهم بذلك من تلك المهواة المهلكة إلى سواء طريق النجاة الموصلة إلى الفوز العظيم والنعيم المقيم ، وقد قال الله تعالى فيمن وقع في مهواة شهواته الدنية وانحط عن رتبة الهمة العلية (ولو شئنا لرفعناه بها

---

(١) النسخة (ب) لما ذكر التمسك حسن أن يشبه القرآن بالحبل الممدود من السماء إلى الأرض .

) أي بآياتنا إلى منازل الأبرار ومراتب العلماء الأخيار (ولكنه أخلد إلى الأرض) أي مال إلى الدنيا ، ولما كانت الأرض سفلا للسماء المرفوعة عبر باستفال درجته عن الأرض السافلة بعد تعبيره عن علو درجته بالرفعة (واتبع هواه) ولم يتبع مقتضى آيات الله فحق عليه ما حق من الخسران والعياذ بالله .

وقوله (وعترتي أهل بيتي) عترة الرجل بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة من فوق تطلق على عشيرته الأقربين والأبعدين ، ولهذا قيده هنا بقوله أهل بيتي ليبين أنه أراد بذلك أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، وهم عند الجمهور من حرم عليه الصدقة من بني هاشم والمطلب ابني عبد مناف .

ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه ، بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ومن جملة ذلك تعظيم ما عظمه الله من عباده النبيين والمرسلين والملائكة وأصحاب الرسول r ومعرفة ما يجب لهم من الحرمة والتكريم والمحبة لإجلال الله ورسوله لهم وحبهما لهم .

ومعنى التمسك بالعترة اتباعهم فيما اتبعوا فيه حكم الكتاب ، وطاعتهم فيما أطاعوا فيه الله ورسوله ، ومحبتهم لله ورسوله من غير إفراط بغلو ، ولا تفريط بتقصير .

وقوله (لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) أي أهل بيتي أوصيكم بالتمسك بسيرتهم كما أوصيتكم بالتمسك بالقرآن إنما جمعت لكم بين الوصية بهما لالتزام أهل بيتي بأحكام القرآن في سيرتهم التي هم عليها حال الوصية وأنهم لا يزالون عليها حتى يلقوا الله تعالى ملازمين لحكم القرآن فيبعثون على ما ماتوا عليه .

والوصية بالتمسك راجعة بالأصالة إلى الموجودين من أهل البيت وهم علي وابناه والعباس وبنوه وغيرهم بالتبعية إلى كل من سيحدث من نسلهم إلى آخرهم إن لم يفارق

حكم القرآن المأمور بالتمسك به قبله ، ولم يبطل حكم الاقتران بالمخالفة ، ولم يقطع رحم المصطفى بمخالفة سنته السنية ، ورحم الله أهل بيته الطيبين الطاهرين بمخالفة سيرتهم بمخالفة سيرتهم المرضية .

ولا شك أن أهل بيته الذين أمرنا يومئذ باتباعهم والتمسك بهم قد ظهر فيهم صدق الملازمة بينهم وبين كتاب الله وسنة رسوله r ، وامتازوا بذلك عن كافة من ابتدع في الدين ، وخالف الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالحين ، وذلك لكثرة ما انتشر عن علي وابن عباس رضي الله عنهما من تفسير كتاب الله ، وإيضاح معانيه ، وكشف أسراره ، ثم من نشر للحديث والفقه ، ثم من علي بن الحسين وابنه جعفر وأمثالهم ومن مشى على منوالهم من بيان أسرار العلوم والحكم والمواعظ وسياسات النفوس إلى ما لا يحصى- مع اتفاق السلف والخلف على أنهم على هدى من ربهم ، وأنهم لم يفارقوا في سيرتهم حكم الكتاب والسنة .

ومع اتفاقهم على أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان على هدى من ربهم ملتزمون لأحكام الكتاب والسنة ، وأن الكل حزب واحد ، وفريق متحد متناصرون على الحق متعاونون عليه خصوصا أهل البيت مع الصديقين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فإن موالاة علي وابن عباس وبنيهما لهما وثناءهم عليهما وغير ذلك مما سبق الإشارة إلى نبذة منه لا يحتاج إلى إقامة دليل ، ولم ينقل عن واحد منهم الغض من منصبهما الجليل فضلا عما اتخذه دينا من يزعم أنه من ولاة أهل البيت من التفسيق والتضليل وغير ذلك من الأباطيل.

وإذا ثبت أن أهل البيت المذكورين كانوا نصرة لمن ذكرنا من الصحابة ، وثبت أن الكل لم يفارقوا حكم الكتاب ، وأن بعضا لم يضل بعضا فهل خلف هؤلاء السادة المذكورين أحد من حزب الضلال المبتدعة المخالفين لسنتهم المائلين عن طريقهم الذين أجمع السلف والخلف من الصحابة فمن بعدهم وعلي وبنوه وابن عباس وبنوه ومن حذا حذوهم من السادات أهل البيت أن ما هم عليه بدعة في دين الله مخالفة لكتاب الله مباينة لسنة رسول الله r مصادمة لما أجمع عليه السلف والخلف من هو أهدى من أولئك ، فإن قال الخصم نعم فقد اعترف بتنقيصه عليا وبنيه وكذبه الحس والعيان والسنة والقرآن ، وإن قال لا فقد اعترف بأن ما ختاره لنفسه مخالف لما عليه علي وأهل بيته الأطهار ، وإن زعم أن ما هو عليه هو دين علي وآله كما صرح به في نظمه فقد اغتاب السادة وعليه البيان على دعواه من نصوص الكتب التي نقل منها فضائل علي وأهل البيت وهي بيننا وبينه محكمة ، وإلا أقمنا الحجة فيها على دعوانا ، وإن زعم أن ما فيها مفتر كما هو معتقد جنانه ، والظاهر من صفحات وجهه وفلتات لسانه فقد أبطل فضائل علي وسائر أهل البيت ويلزمه إبطال جميع ما فيها من السنة والتوحيد والنبوة والصلاة والصيام وغير ذلك إذ لا فرق إلا لمجرد الهوى وهو مراده لو حصل عليه ، ولكن (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

وإذا تبين أنه على ضلال تبين أنه ومن والاه وانتحل مذهبه ممن يزعم أنهم أهل بيت النبي r قد فارقوا حكم القرآن ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ورفضوا سنة رسول الله r ، وقطعوا الرحم التي أمر الله بها أن توصل ، وضللوا سادات أهل البيت عليا وابن

عباس وبنيهما ، فاستحقوا أن يقال لهم ما قال سبحانه وتعالى لنبيه نوح عليه السلام لما قال إن ابني من أهلي (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) وما قاله فيمن زعم أنه أولى الناس بإبراهيم لكونه ولده (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه) ، وما قاله r عن آله فقال (آلي كل تقي إلى يوم القيامة).[1]

وما قاله في بعض المنتسبين إليه : (يزعم أنه مني وليس مني إن أوليائي إلا المتقون).[2] (ووقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) .

وعلم أن الملازمة بين أهل البيت المذكورين أولا ومن تبعهم وبين القرآن ملازمة صحيحة ، فكل من تمسك منهم بالقرآن حتى مات صدق عليه أنه لم يفارق القرآن ولم يفارقه القرآن حتى لقي الله ، فلو فرضنا مثلا إنه لم يوجد من أهل بيته إلا الموجودون حال إشارته إليهم ، والوصية بالتمسك بهم ثم ماتوا لصح أن يقال إن أهل البيت والقرآن لم يفترقا حتى وردوا القيامة ، فكذلك إذا خالفهم طوائف الضالة من ذريتهم ولم يتبعوهم على ما كانوا عليه صاروا بمثابة المعدومين ، (ولا توارث بين أهل ملتين شتى) .[3]

أما الميراث الدنيوي فحكمه مبني على المخالفة الظاهرة بالكلية لأن أحكام الدنيا منوطة بالظواهر حتى أنا نورث من قال لا إله إلا الله بلسانه وكفر بالله بجنانه وعصاه بأركانه ، وأما في الميراث الديني فآله r الذين يرثون ميراثه كل بر تقي وإن أولياؤه إلا المتقون .

---

(١)حديث أنس بلفظ (آل محمد كل تقي) قال الألباني أنه ضعيف جدا كما في السلسة الضعيفة (١٣٠٤) .

(٢) حديث أنس السابق وقرأ : " إن أولياؤه إلا المتقون " قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه نوح بن أبي مريم ضعيف .

(٣) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (لا يتوارث أهل ملتين شتى) رواه أبو داود وابن ماجة .

وإذا تقرر هذا فاعلم أنه صلى عليه وسلم مأمور بالتبليغ وإقامة الحجة وقد أطلعه الله على ما سيلقى علي وبنوه من المحنة وعدم اجتماع الكلمة عليهم فأشار بهذه الوصية أن عليا كما أنه اليوم ملتزم لحكم الكتاب فإنه أيضا لا يزال كذلك إلى أن يلقى الله ، فمتى دعاكم إلى طاعته فأطيعوه ، وندبكم إلى إجابته فاتبعوه ، فإنه يدعوكم إلى حكم الكتاب ، ويسلك بكم المحجة العظمى ، ويهديكم إلى الصراط الأقوم وستجدونه هاديا مهديا .

ولم تتفق من علي رضي الله عنه دعوة إلى أتباعه ولزوم طاعته في مدة الخلفاء الثلاثة قبله باتفاق من الأمة ، فلما آن أوان دعوته المشار إليها وبويع له بالخلافة لم ينازعه أحد قط في اسم الخلافة ، ولم يشك أحد في تأهله لها ، وأحقيته بها ، وإنما حصل بينه وبين من خالفه من مجتهدي عصره نزاع في مسألة اجتهادية مال كل إلى قول فيها من المبادرة إلى قتلة عثمان والتوقف ، وجرى بينهم ما جرى به القلم ، فكل منهم معتقد أنه على الحق ، وأنه مجاهد على دين الله ، وأنه لو قصر فيما هو فيه فقد خان الله ليقضي الله أمرا كان مفعولا ، فمنهم من اتضح له الحق بعد ذلك أنه في جانب علي كالزبير وطائفة كثيرة يوم قتل عمار بن ياسر (١) ، ومنهم من بقي على ما هو عليه حتى لقي الله .

ولقد عاتب بعضهم الصديقة الكبرى بنت الصديق الأكبر أم المؤمنين المبرأة بنص التنزيل عائشة ـ رضي الله عنها وعن أبيها رغم أنف شانئيه وشانئيها ـ على قيامها في ذلك الأمر فقالت : ما أود أني تركت ذلك القيام ويكون لي به من رسول الله r خمسة أولاد ذكور ، وذلك في آخر عمرها ، فدل على أنها لم يترجح لها خلاف ذلك ، لكن أجمع الخلف

---

(١) لحديث ابن عباس مرفوعا (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) رواه البخاري .

من التابعين وجمهور السلف على أن عليا رضي الله عنه كـان مجتهـدا مصـيبا فلـه أجـران ، ومخاليفه يومئذ كانوا مجتهدين مخطئين فلهم أجر واحد ، وكلا وعد الله الحسنى.

وجمهور المخالفين له منهم من هو مشهود له بالجنـة ، وهـم مـن كـان مـن أهـل بيعـة الرضوان المحكوم لهم بالرضا الذي لا يتبدل من رب العالمين ومن رسوله بتحريمهم عـلى النار ، ومنهم من هو من أهل بدر الذين غفر الله ما تقـدم مـن ذنـبهم ومـا تـأخر بشـهادة الصادق المصدوق ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم . (١)

(١) لحديث أم مبشر مرفوعا (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة) رواه أحمد وأبو داود ، وحديث علي مرفوعا (ما يدريك ؟ لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) متفق عليه .

الفصل الثاني

في الحث على محبة أهل بيته r

والتنبيه على جلالة قدرهم وعلو مجدهم

اعلم أن الناس ما بين مفرط في ذلك ومفرّط ، وكلا قصد طرفي الأمور ذميم ، وقد علمت من هو الأولى بهذا الاسم أي التسمي بأهل البيت ، وعلمت أيضا ما يجب من حبهم واحترامهم والتحذير من إهانتهم واحتقارهم نصحا لأمته وشفقة عليها أن لا تهين من أكرمه الله فيهينها الله ، (ومن يهن الله فما له من مكرم) .

فمنها : قوله r (أحبوا أهل بيتي لحبي) أخرجه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين . (١)

وقال r (والذي نفسي بيده لا يدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبكم لله ورسوله) أخرجه الإمام أحمد والحاكم وصححه . (٢)

وقوله r في حديث طويل (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي كررها ثلاثا) أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه رحمهم الله إلى غير ذلك .(٣)

وناهيك بذلك فخرا لأهل البيت لما يتضمنه ذلك من شرف منصبهم ، وإيجاب حبهم واحترامهم ، وتأدية حقوقهم ، والإحسان إليهم ، والمحافظة على ذلك كله ، والتحذير من ضده إكراما لسيد المرسلين وخاتم النبيين ، وإذا كانت العقول والعادات بل والشرائع

---

(١) حديث ابن عباس مرفوعا (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه و أحبوني لحب الله و أحبوا أهل بيتي لحبي) صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الألباني ضعيف انظر ضعيف الجامع (١٧٦) .

(٢) حديث العباس ضعيف انظر ضعيف الجامع (٦١١٢) .

(٣) رواه مسلم (٦٣٧٨) وأحمد (١٩٢٨٥) .

تقتضي إنزال الناس منا زلهم ، واحترام أبناء الفضلاء ، ومن ينسب إليهم سواء اتصل المأمور بذلك منهم بإحسان أم لا حتى أمر الله وليه الخضر ونجية موسى بمراعاة من كان أبوهما صالحا .

فما ظنك بمن يدلي إلى من أرسله الله رحمة للعالمين ، ومن به على المؤمنين ، وأنقذهم له من خسران الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، ومن هو الآية الكبرى لمعتبر ، ومن هو النعمة العظمى لمغتنم ، فأي رقبة لم تتقلد بمننه الجليلة وأي فرقة لم تستغرقها أياديه الجزيلة .

وإذا كانت أبناء الرجل الرئيس بل وعشيرته بل وغلمانه وأتباعه بل وقبيلته وأهل بلده بل وقطره بل وأهل عصره قد يسودون بسيادته ويشرفون بشرف رئاسته ويفتخرون على من سواهم بفضله ، ويعلون بعلو منصبه ونبله ، فهل أحد أجل قدرا وأعظم مرتبة وفخرا ممن ينتسب أهل البيت ، ويعولون في الدنيا والآخرة هم ومن سواهم عليه ، خيرة العالم ، وسيد ولد آدم ، صاحب الحوض المورود ، واللواء المعقود الذي آدم فمن دونه تحته ، والمقام المحمود الذي يغبط به الأولون والآخرون ، والشفاعة العظمى التي يعجز عنها أولو العزم ويقول أنا لها أنا لها ، ومن كان هذا شأنه فنسبة كل شرف إلى شرفه كقطرة في البحار الزاخرة .

وإذا تشرف قوم غيره وأجلوا واحترموا لشرف من انتسبوا إليه فشرف أهل البيت النبوي أولى ، وقدرهم الرفيع أعلى وبينهم وبين غيرهم في الشرف مثل ما بين من تشرفوا به وبين غيره من البون .

ومن هنا خصوا بمشروعية الصلاة عليهم تبعا له r في كل مقام شريف ، من خطبة وصلاة وغير ذلك حتى أوجبها طائفة من العلماء كما هو وجه في مذهبنا [١] مستدلين بقوله r (من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه) أخرجه الدار قطني.[٢]

ويقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (لو صليت صلاة لم أصل فيها على محمد وعلى آل محمد ما رأيت أنها تقبل) .

وعليه قيل :

يا أهل بيت رسول الله حبكم — فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم — من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقد كانت قلوب السلف الأخيار والعلماء الأحبار مجبولة على حبهم واحترامهم ومعرفة ما يجب لهم طبعا ، وبالجملة كل من في قلبه مثقال ذرة من تعظيم المصطفى r وحبه فمصداق ذلك تعظيم وحب كل من ينتسب إليه بقربة أو قرابة أو صحبة واتباع سنة إذ كل ما ينتسب إلى المحبوب محبوب .

أحب لحبها السودان حتى — أحب لحبها سود الكلاب

(١) قال الرافعي في الشرح ٣ ٥٠٣ : وهل تجب الصلاة علي الآل فيه قولان وبعضهم يقول وجهان (أحدهما) تجب لظاهر ما روى انه قيل يا رسول كيف نصلي عليك فقال : قولوا (اللهم صلي علي محمد وعلي آل محمد (وأصحهما) لا وإنما هي سنة تابعة للصلاة على النبي r .

(٢) رواه الدارقطني في سننه جابر عن أبي جعفر عن أبي مسعود الأنصاري مرفوعا (من صلى صلاة لم يصل فيها علي ولا على أهل بيتي لم تقبل منه) قال الدارقطني : جابر ضعيف وقد اختلف عنه .

فمن قام من أهل البيت بحفظ حدود الشريعة المطهرة فقد تحققت فيه القربة والقرابة ، وحاز فضيلة الحسب والنسب ، وتوفرت فيه فضيلة الشرفين من الجهتين ، ومن لم يسبق له نصيب وافر في الميراث النبوي ولكنه لم يفارق الملة الفراق الموجب للحجب بقي على ميراثه في حق القرابة وروعيت فيه حقوقها ، وكذا من ارتكب معصية لا تقتضي إخراجه عن الملة لم يوجب ذلك اطراح ما له من الحقوق ، وتوكل إساءته وتقصيره عن الالتحاق بسلفه إلى الله إذ صلة الأرحام مأمور بها مع القطيعة والعقوق ، وهو r أولى الناس بذلك إلا فيما لا بد من إجراء الأحكام وإقامة الحدود فتراعى حرمة الشريعة حينئذ لأن حقهم إنما وجبت مراعاته لأجل صاحب الشرع فإذا عارضه حق صاحب الشرع نفسه تلاشى كل حق دونه ، وكان حق الله ورسوله أولى .

ولهذا قال r (أحبوهم لحبي إياهم فمتى أبغضتهم فأبغضوهم ، وقد علمتم شدة بغضي لمن خالف سنتي فسيروا فيهم سيرتي معهم وكونوا معي) .[1]

وقال أيضا (حتى يحبوكم لله ورسوله) [2] أي لا للهوى فما داموا على الطريق المرضي الذي يحبه الله ورسوله وجب حبهم وإن سلكوا ما يسخط الله ورسوله وجب مراعاة حق الله ورسوله r ، فنحبهم لله ولرسوله ، ونبغضهم لله ولرسوله ، فإن الولاية الأصلية ليست إلا لله ورسوله r ، وسواهما إنما تثبت له الموالاة بهما لا غير (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) .

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ .

(٢) حديث العباس رواه الطبراني في الكبير بلفظ (حتى يحبوكم لله ولقرابتي) .

وهذه قصيدة فيها انعطاف على ما سبق من أول الجواب إلى آخره مقابلة لأبيات المبتدع وهي على روي أبياته ومن بحرها أيضا ، ولكن نصبناها لتطابق الواقع فإن البدعة لم تزل مخفوضة وأعلام السنة منشورة (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)

علم المحجة واضح لمن اهتدى ... فحذار من سبل الغواية والردى
هذي شريعة أحمد الغراء قد ... جليت كأسفار الصباح إذا بدا
بيضاء كالشمس المنيرة ليلها ... كنهارها فتوخّها لك مقصدا
واستن سنته القوية واعتصم ... بكتابه وحديثه تلق الهدى
وإذا أظلك ليل شبهة بدعة ... حار الغوي بتيهها وترددا
فبأي أنجم صحب أحمد تقتدي ... تهدى وحق بمثلهم أن يهتدى
قد صح عمن ليس ينطق عن هوى ... هذا عموما مطلقا ومقيدا
وبسنة الخلفاء قال عليكم الـ ... هادين منهم موصيا ومؤكدا
وإلى اللذين عناهما من بعده ... صرف الوصية آمرا أن يقتدى
أتراه أرضانا بذلك خائنا ... أم ناصحا أم مغويا أم مرشدا
أو عن هوى أو كان غمرا جاهلا ... من كان منهم مصلحا أو مفسدا
كلا لقد صدقت فراسته التي ... صدرت وعن عين الحقيقة أوردا
أنى وروح القدس ينفث ملهما ... في روعه ومعلما ومؤيدا
وبعصمة الملك القدير عن الخطا ... أضحى يقول موفقا ومسددا
فلسورة النجم افتتح وأعدها ... للملحدين به شهابا مرصدا
لو جال طرف الطرف في آثار من ... أخذوا بأطراف الحديث وأسندا
لرأيته قرة أعين من جنة ... لمحبهم ولظى الحسود إلى المدى
كم قد أشاد بفخرهم طرا وكم ... أثنى بمثنى في الثناء وموحدا
ورمى الجهول محذرا من سبهم ... بنصال أسهم غيظه وتهددا
من بعد ما أثنى عليهم ربه ... بأجل أوصاف الثناء مرددا

كـم سـورة صـالت عـلى أعـدائهم ... فالحشر بـالأحزاب غـار وأنجـدا

والفتح قد ختمت بمسك ختـامهم ... والنــور أصــبح زيتهــا متوقــدا

ثم التي فضحت عداهم أفصـحت ... ببيــان معناهــا البــديع منضــدا

طعنت صدور الطـاعنين وأردفـت ... تــروى المـديح مطابقـا ذم العـدا

وبـــآل عمـــران الشـــهادة أنهـــم ... خير الـورى وكفـاك ذاك مشـهدا

أتــرى الخبــير بخلقــه أثنــى عــلى ... مــن لــيس أهــلا للثنــاء مجــددا

جعل الفلاح لهـم وإجـلال الرضـا ... خبرا وصدق العهـد عـنهم مبتـدا

أيقـول أعـددنا الجنـان لهـم وهـم ... ممن طغى في ديـن أحمـد واعتـدى

أو حـل عقـد رضـا أحـل علـيهم ... وقضـاه في الـذكر الحكـيم مؤيـدا

أو عنـه عاقبـة الأمـور تغيبـت أو ... تخفـــى تقـــدس ربنـــا وتفـــردا

والله مـــا نزلـــت بـــذا آياتـــه ... هزؤا ولا عبثا ولا جـاءت سـدى

خــذها محكمــة القــوافي نصــبها ... سر لخفـض معارضـيها قـد بـدا

نصـبت لهـا أعـلام فـتح بعـد أن ... خفضـوا بكثـرة جمعهـم فتبـددا

وســم التصرــف بالإشــارة أيهــا ... ذا المسـتغيث فهـذه صـلق العـدا

فلـت بفصـل القـول مـن برهانهـا ... حد القضايا المهملات بلا اعتـداء

كــم مزدهــى بغــروره قلبــت لــه ... ظهر المجـن فأولغـت فيـه المـدى

عجبـــا لمغـــتر بـــآل محمـــد ... أهدى الضلال لمحتذيه وما هـدى

تخـــذ الهـــوى دينـــا ويـــزعم أنـــه ... أضـحى بعقـد ولائهـم متقلـدا

أأراد ســـادات البريـــة حيـــدرا ... وبنيــه والحــبر الخضــم المزبــدا

صـــدق الغـــوي فـــإنهم أهـــل لمـــا ... أثنـى ولكـن مـا بهـديهم اهتـدى

أهم كـما زعـم الغـوي عـلى الـذي ... يلقيـــه عـــن شـــيطانه متمـــردا

حاشـا لقـدرهم العـلي وفضـلهم ... عن زيغ مـن في ديـن أحمـد ألحـدا

فقـد افـترى كـذبا علـيهم ومزريـا ... بالسادة النجب الكرام أولي الندى

قرنـــاء وحـــي الله لـــن يتفرقـــا ... حتـى ورود الحـوض بيـنهما غـدا

نشروا عن التفسير فيه ما انطوى وشفوا به الأكباد من حر الصدا
ورووا حديث المصطفى حتى غدا بالري للراوين أعذب موردا
وبصحبه اتحدوا وعنهم نافحوا وعليهم أثنوا الثناء معددا
فلهم ولائي ما حييت عدو من عادوا وسلما للمسالم مسعدا
وعليهم من ربهم صلواته بعد النبي مع السلام مجددا
وكذلك الصحب الأفاضل ماجدا حاد فأطرب حين زمزم منشدا

(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) .

* * * *

B

الموضوع	الصفحة

مواضيع الكتاب :

الخاتمة : وفيها فصلان :

سلسلة إحياء تراث أهل السنة والجماعة في حضرموت

الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

سلسلة إحياء تراث أهل السنة والجماعة في حضرموت

الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

للعلامة

محمد بن عمر بحرق الحضرمي

ت ٩٣٠هـ

تحقيق

أكرم مبارك عصبان

الطبعة الأولى



WWW.SOUFIA-H.COM

نكشف الحقائق الغائبة للباحثين عن الحقيقة